روعة الزواج

(الجزء الثاني)

د . عادل صادق

الطبعـــة الأولـــى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

روعة الزواج
(الجزء الثاني)

تقديم

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « روعة الزواج » للأستاذ الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى بكلية الطب - جامعة عين شمس - بإيجاز ليس مخلاً على الإطلاق فإن الجزء الأول هو دعوة للزواج ، والجزء الثانى هو دعوة ضد الطلاق . ففى الجزء الأول هو يرى أن الزواج حب والحب زواج ، وفى الجزء الثانى يرى أن الزواج يجب أن يكون خالداً .

.. إن كتاب روعة الزواج بجزأيه هو إضافة هامة للمكتبة العربية ويجىء فى مرحلة خطيرة فى حياة الإنسان العربى الذى تأثر سلبياً بقشور ثقافات غريبة عليه أدت إلى انهيار الكثير من القيم السامية وإلى تدمير المعنى العظيم للزواج وأهميته فى حياة الإنسان .

.. إن كتب الأستاذ الدكتور عادل صادق تصل بهذا الكتاب إلى عشرين كتاباً تحتل مكان القلب فى المكتبة العربية فى مجال الدراسات النفسية والإنسانية بلغة علمية سهلة تصل إلى العقل وإلى القلب معاً وتترك آثاراً تنعكس على السلوك في الاتجاه النبيل السامي انطلاقاً من قاعدة أساسية فى فكر الأستاذ الدكتور عادل صادق وهى : أن جوهر الحياة هو العلاقات الإنسانية .. وأن جوهر العلاقات الإنسانية هو الحب الذى يجمع بين قلبى رجل وامرأة . ولهذا جاء الكتاب رقم « ٢٠ » ليتحدث عن روعة العلاقة بين رجل وامرأة يجمع بينهما الحب أى الزواج .

« دار الحرية »

المقدمة

.. هذا الكتاب دعوة ضد الطلاق .. ونقطة الانطلاق كانت التعمق فى فهم كلمة « البغضاء » ..

.. وكان نص الحديث صريحاً « أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق » (رواه أبو داود) .

.. وبغضاء الله مبعثها بدون شك معرفة الخالق عز وجل بطباع البشر وأحوالهم وما قد يحدثه الطلاق من تأثير سيئ فى حياتهم .

.. وهو معنى بليغ أراد الله أن يوضحه بهذه الكلمة الصعبة « البغضاء » حتى يحذر الناس بشدة وليس برفق من هذا الأمر الفظيع الطلاق .

د . عادل صادق

ماساة الطلاق

.. أبغض الحلال

.. أحل الله الطلاق ولكن بَغْضَه فى نفس الوقت . وحين يَبْغُضُ الله شيئاً ما فهذا معناه أنه شىء سيىء مقيت وكريه .. والله عز وجل يبغض ويمقت ويكره كل ما يسيىء إلى علاقة إنسانية ، كل ما يهدر رابطة بين إنسان وإنسان ، كل ما يقطع صلة يقوم على أساسها الكون وتستمر بها الحياة ، كل ما يجرح قدسية الصحبة الطيبة بين رجل وامرأة ، كل ما يقطع التلاحم الشريف بين الذكر والأنثى ، كل ما يهدر قانون السماء الذى يجمع ويؤلف بين القلوب والأرواح والذى يتضح فى قوله الحكيم فى كتابه الكريم « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » .. صدق الله العظيم .. (سورة النجم – ٤٥) .

.. هذا هو الطلاق .. نهاية علاقة بين رجل وامرأة جمع الله بينهما فى لحظة ما . موت صلة بين ذكر وأنثى أراد الله لهما فى وقت ما أن يلتحما ويذوبا مودة ورحمة . تفكك رابطة مقدسة جمعت فى وقت ما - بإرادة الله - بين قلبين وروحين وعقلين وجسدين .

.. هذا هو الطلاق .. قتل لصميم الحياة . تحطيم أساس تقوم عليه الحياة . إهدار للناموس الطبيعى الذى ينظم الحياة .

.. هذا هو الطلاق .. فناء للمعنى الخالد ، للقيمة الكبرى ، للنموذج الأكمل ، للصرح الحقيقى ، للطهارة والشرف والكرامة والإخلاص والوفاء .

.. هذا هو الطلاق .. الإعلان الصريح عن فشل رجل ، وفشل امرأة ، وهما معاً فاشلان وليس أحدهما فقط . لا يوجد فى الطلاق معتد وضحية . جانٍ ومجنى عليه .. بل هما معاً معتديان وضحيتان . جانيان ومجنى عليهما .. ولكن بكل تأكيد هو رجل فاشل وهى امرأة فاشلة .. فشلا فى تكريس المعنى الحقيقى للحياة .. فشلا فى تأكيد القيمة الجمالية الحقيقية للإنسان كنبع للمودة والرحمة .

.. الــزواج مقــدس .

.. والطــلاق بُغْضٌ وبغضــاء .

.. فى لحظة الزواج تحوم حول البقعة الطاهرة التى يتم فيها زواج رجل بامرأة كل ملائكة الحب والرحمة والمودة والسرور والجمال والشرف والإخلاص والوفاء .

.. فى لحظة الطلاق تحوم حول البقعة التعسة التى يتم فيها طلاق رجل وامرأة كل شياطين الكراهية والبغض والمقت والاكتئاب والقبح والقسوة والعنف والخيانة .

.. اللحظات التى تتم فيها فعلياً إجراءات الطلاق هى لحظات حزينة حقاً . لا يعرف مرارتها إلا الذين مروا بهذه التجربة التعسة الشقية .. حتى الذى سعى للطلاق سعياً حثيثاً وتمناه هروباً من معاناة فإنه فى هذه اللحظة يحزن حزناً كبيراً . إنها لحظة يشعر فيها الإنسان بالفشل الحقيقى . بأنه أشد الناس فشلاً على وجه الأرض . فشل فيما نجح فيه أبسط إنسان . فى هذه اللحظة لا ينفع الإنسان علم أو ثقافة أو مال أو جاه أو سلطان . الجاهل فى هذه اللحظة قد يكون أسعد من المتعلم والأمى أسعد من المثقف ، والفقير أسعد من الغنى ، والضعيف أسعد من صاحب الجاه والسلطان .

.. إنها لحظة انهيار . انهيار قيمة ومعنى وضياع هدف .

.. إنها لحظة تتألم فيها القلوب وتتعذب الأرواح وتشقى العقول .

.. القلوب ترتج بشدة فى هذه اللحظات . إنها حقاً لحظات قلوب . القلوب المريضة تقود أصحابها إلى هذه اللحظة . والقلوب السليمة تبعد أصحابها عن هذه اللحظة حتى نهاية العمر .

.. القلوب المريضة هى القلوب المتحجرة أى كالحجارة أو أشد قسوة . هى القلوب المليئة بالكراهية والحقد والبغضاء والغرور والنرجسية والأنانية .

.. والقلوب السليمة هى القلوب الآمنة المطمئنة العاشقة المليئة بالمودة والرحمة وحب الخير والتواضع والكرم والإيثار .

.. إذن لا أحد سعيدا فى لحظة الطلاق .. سواء الذى سعى إلى الطلاق أو الذى طلق ضد إرادته ..

.. يكفى فى الطلاق أن يكون طرف راغباً فى الطلاق حتى يتم الطلاق . أما الزواج فإنه يحتاج إلى إرادة الاثنين معاً . رغبة مشتركة . اتجاه واحد . البناء يحتاج إلى اثنين .. يدين . أما الطلاق فيحتاج إلى واحد . يد تكفى .

.. ولحظة الطلاق هى نهاية الطريق . المحطة الأخيرة .. سبقتها لحظات وساعات وأيام وشهور وسنون طويلة أو قصيرة .. ونادراً ما يتم الطلاق فجأة وبدون مقدمات . فى

حقيقة الأمر فإن الطلاق يتم على مراحل . ولحظة الطلاق يسبقها شهور وربما سنوات من التفكير ثم الاستعداد للطلاق . ثم اتخاذ القرار . ثم تأتى اللحظة التعيسة . الطلاق يتم على مراحل .

□ □ □

متـى يحـدث الطــلاق ؟

.. الطلاق لا يحدث فجأة . لا يتم بدون توقع . إنه يبدأ كإحساس . شعور . حالة وجدانية . ربما سنوات قبل اللحظة الفعلية التى يتم فيها الطلاق . نقطة البداية هى توقف المشاعر . تجمد العواطف . تصلب الوجدان . ربما حتى لا مشاعر سلبية . أحدهما يتوقف عن الإحساس بالآخر . أو قد يتوقف إحساسهما معاً فى وقت واحد . قد يحدث هذا فى اليوم الأول للزواج . وقد يحدث بعد شهر . بعد سنة . بعد عدة سنوات . هذه هى البداية الحقيقية . ولكن هذه البداية يسبقها أشياء أخرى . مشاحنات . عدم ارتياح . صراع . والصراع قد يأخذ باستمرار شكلاً حاداً ومستمراً . قد يكون صراعاً مجهداً وأحياناً مريراً . قد تكون المشاحنات مضنية . قد تكون هناك هوة ما تفصل بين الزوجين . قد تكون هناك اختلافات جوهرية بينهما وخلافات أساسية تتناول أشياء جوهرية .. ولكن رغم كل هذا تكون فكرة الطلاق بعيدة كل

البعد عن الذهن والخاطر والوجدان . بل يكون هناك إحساس عجيب وهو أنه بالرغم من الصراع والمشاحنات والهوة والاختلافات والخلافات فإنه يكون هناك فى نفس الوقت إحساس راسخ بالاستمرارية والثبات والطمأنينة . كل شىء مضطرب ولكن الحياة مستمرة وستستمر . والألم يكون سطحياً ، والمعاناة خارجية ، والشكوى باللسان .

.. فقط عندما يجف الإحساس يحوم شيطان الطلاق فوق الرؤوس مثلما يُحَلِّقُ ملك الموت فوق رأس مريض على وشك الموت استعداداً لقبض روحه . الموت والطلاق شىء واحد .

.. جفاف الإحساس معناه بداية التباعد الحقيقى . حتى تصبح المسافة التى تفصلهما آلاف الأميال ، والهوة التى بينهما عميقة القرار . فلا يرى أحدهما الآخر ، ولا يسمع أحدهما الآخر . وعلى المستوى النفسى فإن كل واحد منهما قد قام بإلغاء الآخر . أى أن كلا منهما قد تحول بالنسبة للآخر إلى صفر .

.. هذه هى البداية . توقف الإحساس . وهنا تتجمع القطرة السامة الأولى . وإذا أردنا الحقيقة فإن الطلاق المعنوى يكون قد تم فعلاً فى هذا الوقت . فإذا كان الزواج هو قمة الإحساس بالآخر فإن الطلاق يكون بذلك هو توقف

الإحساس بالآخر . وتوقف الإحساس هو انهيار كامل للمعنى الحقيقى للزواج . فأنت تتزوج لأنك تريد أن تعيش مع إنسان . وهذا الإنسان بالذات . أنت تتزوج لتكونا معاً . أنت تتزوج ليشعر بك الآخر ويهتم بك .. وأنت تتزوج أيضاً ليتاح لك أن تشعر بالآخر وتهتم به . الزواج يقوم على الإحساس الكامل المتبادل . فإذا توقف الإحساس فهذا هو اللا زواج .

□ □ □

.. ولكى يصل الإنسان إلى حالة اللاإحساس فإنه يعبر طريقاً مضنياً شاقاً مليئاً بالعقارب والأفاعى . تلدغه وتقرصه وتنفث السم داخله وتُمرضه . إنه مشوار قد يكون قصيراً وقد يطول أحياناً . وينفث السم قطرة قطرة . ويقاوم الإنسان . يقاوم بفطرته . لأنه يريد للزواج أن يستمر . يريد للشريك أن يبقى . يريد للمعنى أن يظل حياً نابضاً . أحياناً ينتصر الإنسان . يطرد السم من دمه ومن جوفه وتعلو إرادة الخير ويستمر الزواج . وأحياناً يفتك السم بالإحساس . وبذلك تنبت بذرة الشر الأولى . وتختمر تدريجياً فكرة الطلاق .

.. ولكن البداية هى توقف الإحساس .

□ □ □

إنســان لا يصلــح للــزواج

.. ولنبدأ من قبل البداية . قبل اللقاء الأول .. وقبل اتخاذ قرار الزواج . وقبل عقد القران . وقبل البداية المضنية ..

.. والبداية التى هى قبل البداية تشير إلى أننا أمام إنسان غير مهيأ للزواج .. ليست لديه المقومات ليصبح روحاً قابلة للذوبان فى روح إنسان آخر ، ولا نفساً قابلة للمؤانسة والألفة مع نفس إنسان آخر ، ولا جسداً قابلاً لصداقة جسد إنسان آخر . إنسان ليس لديه العقل الناضج لتحمل مسئولية رعاية إنسان آخر والمحافظة عليه وإسباغ الحنان والمودة من أجله .

.. البداية التى هى قبل البداية أن هناك إنسانا لا يصلح للزواج أو هو لا يستحق نعمة الزواج .

.. إنه الإنسان الخطأ . وكل إنسان لا يصلح للزواج هو إنسان خطأ . فالحياة تقوم على الزواج .. وخلق الزوجين الذكر والأنثى .

.. من هو هذا الإنسان الخطأ ؟ !

(١) إنه إنسان غابت عنه معانى القدسية بشكل عام . وقدسية الزواج بشكل خاص . الإنسان الحقيقى لابد أن يكون

لديه الحس الباطنى الذى يدرك به الأشياء المقدسة .. العلاقات المقدسة .. المعانى المقدسة .. الأشخاص المقدسين . الشعور بالقدسية لا ينبع إلا من نفس ثرية ومن جوهر قيم وروح رائعة . والإنسان الذى يدرك قدسية من حوله هو ذاته به لمحة من قدسية .. فلولا النور الذى بداخله لما أدرك النور خارجه . ولهذا ليس عجيباً أن يكون بعض غير المبصرين أكثر إدراكاً للنور من بعض المبصرين .

.. الزواج رابطة قدسية . علاقة خالدة . صلة إلهية . ولا يتزوج اثنان إلا باسم الله وبإذن الله وأمام الله . ومن يستشعر قدسية الزواج يحافظ عليه . يبذل كل ما لديه وما يستطيع . من يستشعر قدسية الزواج يتزوج بروحه وبنفسه وبوجدانه وبعقله وبجسده . يتزوج بكله . من يستشعر قدسية الزواج يستطع أن يتلمس بعينيه جوانب القدسية فى الطرف الآخر فيبجله ويحترمه .. أى يقدره .. إن إحدى دعائم الاستقرار الأساسية فى الزواج هو الاحترام . لا يستقر زواج بدون احترام . والاحترام هو وليد تلك المشاعر القدسية ..

والاحترام لا يكون للحبيب الزوج فحسب ولكنه يكون لكل الناس . للإنسانية . للقيم .. للمعانى .. للحياة . ولا يمكن أن تحترم إنساناً دون أن تحمل عظيم الاحترام لذاتك .. واحترام

الذات معناه تلك الصورة الإيجابية التى ترى عليها ذاتك .. صورة مركبة من الصدق والجمال .

إذن هذا هو معنى التحرك من الداخل إلى الخارج . أى البداية أنك تستشعر نفحة القدسية فى ذاتك الإنسانية فترى منها تلك الصورة الإيجابية الجمالية الصادقة فتحمل لها عظيم الاحترام . وتنطلق إلى ما حولك من مخلوقات ومعانٍ .. وتنطلق إلى السماء لتعانق المصدر الأعظم للنور والجمال والصدق والقدسية . لتعانق الحق .. الخالق الأعظم .

(٢) ولذا لا يستشعر قدسية الزواج إلا من كان له حس دينى . الإيمان العميق بالله وبرسله وكتبه ، واتباع أوامره والبعد عن نواهيه ، والشعور بقدسية كل شىء وكل معنى امتد بسبب إلى الله . المتدينون يقدسون الزواج ويبغضون الطلاق . اللا دينى لا يستشعر قدسية الزواج وبالتالى لا يدرك أنها علاقة خالدة لابد وأن توفر لها كل أسباب الثبات والاستقرار والاستمرارية .

(٣) والإنسان غير المؤهل للزواج هو إنسان لا يستطيع أن يحب . وحقيقة الأمر أن الزواج والحب شىء واحد . الزواج حب والحب زواج . فكيف إذن يتزوج من لا يستطيع أن يحب . والحب هو رابطة شمولية تشمل كل مكونات

الإنسان وكل جوانب حياته . وهو علاقة قدسية بها من نور الله ونفحاته . وفى علاقة الحب يعطى الإنسان بدون مقابل ويتخلى تماماً عن أنانيته ونرجسيته .

وعدم وجود الحب يتسبب فى وجود مناطق أكثر للصراع بين الزوجين كما يجعل الصراع أكثر حدة وأبعد تأثيراً .

.. وهل هناك إنسان لا يستطيع أن يحب ؟ !

.. نعم .. وعادة هو الإنسان الذى لا يستطيع أن يحب إلا نفسه .. ولا يستطيع أن يعجب إلا بنفسه ؛ فعدم القدرة على الحب مرتبط بالأنانية والبخل والنرجسية . بينما الزواج التصاق وامتزاج وانصهار . ذوبان . وهذا مالا يقوى عليه البخيل الأنانى النرجسى .

.. وجدانية الزواج ضمان لثباته واستقراره واستمراره . والرابطة الوجدانية هى من أقوى روابط الزواج . وتبادل الحب ، العشق والغرام بين الزوجين هو بمثابة القلب بالنسبة لحياتهما الزوجية . الحب زواج ، والزواج حب . ولا يستطيع الزواج من لا يستطيع الحب .

(٤) والإنسان غير المؤهل للزواج هو إنسان لا يستطيع تحمل مسئوليات الغير بشكل عام . الزواج مسئولية . أى تكون قادراً على أن تتولى مسئولية رعاية وحماية والاهتمام بإنسان آخر . مسئولية العمل . مسئولية الكفاح . مسئولية

مواجهة الأعباء والتبعات والصعاب والمشاكل . مسئولية المشاركة . والمشاركة مسئولية . أى مسئولية التعاون مع إنسان آخر . وهذه هى إحدى القدرات أو المواهب أو الملكات . معنى الزواج أن تعيش مع إنسان آخر . وأن تكون قريباً جداً من هذا الشخص كل الوقت . أنتما معاً فى قارب واحد فى مواجهة البحر بكل تقلباته . وهذا يتطلب أن يكون كل منكما مؤهلاً بموهبة التعاون البناء . المشاركة الفعالة . ليس كل الناس لديهم مقدرة التعامل والتفاعل والتعاون والمشاركة مع إنسان آخر . ولهذا فهم لا يصلحون للزواج .

(٥) والإنسان غير المؤهل للزواج لا يستطيع أن يحترم حرية الفرد . الحياة مع إنسان آخر تستلزم أن تحترم حرية هذا الإنسان وإرادته .. تحترم تفرده وتقدر تميزه وتعطيه الفرصة لأن ينمو ويتطور داخل إطار هذه العلاقة . كل إنسان يجب أن ينمو وأن يتطور وأن يُحَسن من نفسه . كل إنسان لابد أن يشعر بحريته . وحريته هى كرامته . هى قيمه التى يؤمن بها وتتبدى فى سلوكه وأفعاله . هى آراؤه التى يعبر عنها بدون خوف . هى مشاعره التى يظهرها بصدق . حريته فى أن يتألم وأن يعبر عن ألمه .. حريته فى أن يغضب ويعبر عن غضبه . حريته فى أن يتكلم حينما يريد وأن يصمت حينما يريد . حريته فى أن ينعزل حينما يريد وأن يخلو لنفسه . حريته فى التعبير عن رغباته لأقرب الناس

إليه .. الحرية هى إحدى دعائم الزواج المهمة . والزواج الصحيح هو الذى يجعل الإنسان يشعر بحريته وذاته وفرديته وتفرده وقيمته الخاصة جداً وخاصة عند الطرف الآخر ومن خلاله وفى داخل إطار تلك العلاقة المقدسة ، وبما لا يتعارض مع أساسيات تلك العلاقة ، وبما لا يتعارض مع تعاليم الله وما ارتضاه المجتمع من عادات وأصول .

الحرية هى هواء نقى يستنشقه الزوجان معاً فينعش حياتهما ويجددها ويطورها ويثريها ويقويها .

.. والحرية تنبع من إيمان كل طرف بالآخر . الإيمان بالإنسان . والثقة بهذا الإنسان . وأن تلك العلاقة المقدسة - علاقة الزواج - أساسها الإخلاص وضمانها الوفاء .

.. ولهذا لا تصح علاقة عن طريق السيطرة والقهر والتعنت والعناد . إنها علاقة تمضى إلى طريق مسدود . والإنسان المسيطر غير مؤهل للزواج .

(٦) والإنسان غير المؤهل للزواج هو ذلك الإنسان الذى يفتقد الذوق والإحساس الرقيق . الإنسان الذى يميل إلى تجريح الآخرين والسخرية منهم وتعنيفهم ولومهم وانتقادهم بقسوة . والأمر يصل إلى حد الإهانة والتفوه بألفاظ نابية . ذلك الإنسان عموماً يتمتع بقدر محدود من الإنسانية وبقدر مرتفع من السادية ..

الزواج علاقة تمتد فروعها وثمارها وظلالها إلى الحياة بشكل عام . إلى المجتمع . إلى كل الناس . وشكل علاقة الإنسان بالناس عامة تمتد أيضاً ظلالها على العلاقة الزوجية . سلوك الإنسان فى الحياة عامة لا ينفصل عن سلوكه داخل نطاق العلاقة الزوجية . لا يمكن تجزئة سلوك الإنسان .

الفظاظة وغلظة القلب وقلة الذوق هى سمات من لا يصلحون للزواج .

(٧) لا يصلح للزواج الإنسان الشكاك سيىء الظن . فالزواج علاقة تقوم على الإخلاص . والوفاء من أهم سماتها على مدار السنين الطويلة .. وفى الزواج يشعر الإنسان بالطمأنينة . وهى طمأنينة نابعة من النفس ونابعة من الثقة الكاملة برفيق الحياة وأنه أهل للزواج وأهل لتلك العلاقة المقدسة لإن به نفحة قدسية إلهية .

والشك أساسه انعدام الثقة بالنفس ولكن الإنسان يسقطه على الطرف الآخر . والإنسان الذى يفتقد الثقة بنفسه يبدو مهزوزاً عصبياً مندفعاً قلقاً سريع الغضب سهل الاستثارة دائم اللوم والتجريح مذبذب المزاج . بينما الثقة بالنفس هى مظهر من مظاهر القوة والشجاعة والاعتزاز بالذات

والكبرياء الذى ينطوى على تواضع وسماحة وثقة بالطرف الآخر وثقة بوجود الخير فى الحياة .

الإنسان الذى يفتقد الثقة بنفسه غير مؤهل للزواج وكذلك الإنسان الشكاك سيىء الظن .

□ □ □

النماذج السابقة لا تصلح للزواج . غير مؤهلة للزواج . ولكن بعضها قد يتزوج . لأن لا أحد يمنع أحداً من الزواج . ولكنه يكون زواجاً يحمل فى طياته بذور القلق وعدم الاستقرار واحتمالات الفشل . وهذه هى البداية قبل البداية . بداية الفشل قبل بداية الزواج .

□ □ □

الطفـل يتعلـم الطـلاق ..

.. والبداية - أى البداية التى أدت إلى الفشل - قد تكون أبعد من هذا وأعمق . قد تكون الجذور الأولى ممتدة من أعماق طفولة هذا الإنسان الفاشل فى الزواج . أى أن فشله أو توقعات فشله بدأت منذ طفولته .

.. والكثير عن علاقة الرجل بالمرأة يعرفه الطفل من خلال معايشته لأبيه وأمه . الصورة الأولى . النموذج

الأول . الطبعة الأولى . الدرس الأول . عدة دروس مرتبطة ومتعاقبة وتدور حول موضوع واحد وهو علاقة الرجل بالمرأة . وأول الدروس عن معنى الرجل ومعنى المرأة ، ثم معنى الذكورة ومعنى الأنوثة ، ثم شكل العلاقة بينهما .. أبعادها وأوجهها المتعددة وكيفية التواصل والاتصال بينهما . ثانى هذه الدروس عن شكل الحب الذى من الممكن أن يقوم بين رجل وامرأة يعيشان معاً تحت مسمى الزواج وبالتالى ما هو مفهوم هذا الزواج ومعناه وجدواه . ثالث هذه الدروس عن الصراعات التى من الممكن أن تقوم بين الرجل والمرأة أى بين الزوجين . رابع هذه الدروس عن علاقة الوالدين بأطفالهما وعلاقتهما بالمجتمع من منطلق أنهما زوجان .

وهذه هى الدروس الحقيقية فى حياة الطفل والتى تترك آثارها الراسخة الثابتة حتى نهاية حياته وتشكل مفهومه عن كل هذه الأشياء . تشكل مفهومه عن نفسه ثم عن الجنس الآخر ثم عن دوره فى العلاقة مع الجنس الآخر ثم مفهومه عن الزواج والحب والصراعات الزوجية . وأية معلومات تصله بعد ذلك ما هى إلا معلومات مكملة لا تشكل أهمية كبيرة فى مفاهيمه التى تكونت فعلاً عن هذا الموضوع . أى أن الدروس التى تلقاها فى مدرسته الأولى - البيت - هى الدروس النهائية . الدروس الثابتة التى لا تتزحزح .

.. وما انطبع بوجدانه ورسخ بذهنه يعاد تشكيله (مع الاحتفاظ بنفس المضمون) ويتبدى فى سلوك هذا الإنسان نحو زوجته . التاريخ يعيد نفسه . ومن شابه أباه فما ظلم . وكل فتاة تصبح مثل أمها . ويختار الشاب من تشابه أمه لتكون شريكة حياته . وتختار الفتاة من يشابه أباها ليكون شريك حياتها . المضمون واحد والاختلاف فى الشكل .

.. الطفل الذكر يتوحد مع أبيه أى يلبس ثيابه ويمشى فى حذائه ويتبنى أفكاره . وكذلك تفعل الطفلة . تعيش أفكار ومشاعر ومواقف أمها .

.. الطفل يراقب . يسمع . يرى . ونظن أنه لا يفهم ولكنه يعى ويدرك كل شىء . فى البداية يعى بوجدانه وبعد ذلك يدرك بعقله .

● وفكرة الزواج الراسخ الثابت المستمر يتعلمها الطفل من والديه . وذلك حين يشعر بالطمأنينة . باستقرار البيت . بصلابة أعمدته . التهديد المستمر بانهيار البيت يفزع الطفل ثم يرسخ فى داخله أن أى حياة زوجية قابلة للانهيار . وأنه من الممكن أن يستيقظ فلا يجد أمه بالبيت أو أن أباه قد غادره للأبد .

.. وعلى العكس من ذلك هناك بيت يبعث فى نفس الطفل كل دواعى الطمأنينة ويؤكد فى ضميره أن الحياة الزوجية

هى حياة خالدة أبدية فى الدنيا وفى الآخرة وأنه من المستحيل أن يحدث انفصال إلا عن طريق الموت . بل حتى الموت لا يستطيع أن يأخذ معه الحب والمودة . فالعواطف مستمرة وباقية حتى ولو اختفى أحد الطرفين عن طريق الموت .

.. البيت المستقر يخلق طفلاً قوياً تملؤه الثقة بنفسه وبوالديه وبالزواج وبالحب وبالحياة عموماً . البيت المهزوز ينزع هذه الثقة فيخلق طفلاً مهزوزاً وإنساناً مهزوزاً غير قادر هو نفسه على حفظ الاستقرار والثبات لبيت المستقبل . غير قادر على الثقة بالحياة وبالعواطف وبالبشر .

.. إن كلمة الطلاق لو ترددت مرة واحدة على مسامع الطفل فإنها تظل ترن فى أذنيه مدى حياته وتثير الفزع فى نفسه . وتكرار سماعها يفقدها رهبتها ويخفف من بغضائها . يجعلها سهلة . والسهل من الممكن وقوعه . ومثلما سمع أمه ترددها أو أباه يتفوه بها فإن عقله يستسيغها ولسانه يرددها بسهولة .

.. وبعد مشاعر الطمأنينة والاستقرار يترسخ مفهوم ثان ومهم يتعلق بالحب . الحب الزوجى . الحب بين الزوج والزوجة . بين الأب والأم . إذا وعاه الطفل وأدركه وأحس به ورآه وشمه وتذوقه فإنه لابد وأن يعيشه مرة ثانية مع

زوجته . ولا يمكن أن يتخيل أو يتصور حياة زوجية بلا حب . ويرتبط عنده الحب بالزواج . ويصير الحب زواجاً والزواج حباً .

.. الحب يملأ حياة الطفل بالبهجة والحيوية والنشاط والتدفق والحماس والجمال وأيضاً الطمأنينة . وكذلك الثقة . ثقة الإنسان بالإنسان . ثقة الزوج بالزوجة . وثقة الزوجة بالزوج . الثقة بأن هناك مشاعر عظيمة خالدة وأبدية من الممكن أن تربط بين رجل وامرأة فى إطار الزواج . وأن الحب يدعو إلى الزواج وأن الزواج يدعم ويرسخ الحب بل ويخلق أيضاً مزيداً من الحب .

.. والحب هو المودة والرحمة . وهو أيضاً الاحترام . وبذلك يرسخ فى عقل الطفل ويثبت فى وجدانه أن الزواج هو أروع صورة للعلاقة الإنسانية المثلى وتتجلى فيه القيم الإنسانية السامية من مودة ورحمة وعطف وشفقة وتسامح وألفة وتواضع وعطاء بلا حدود .

.. والعكس يدمر كل هذه المعانى عند الطفل حين يتشبع هواء البيت بالكراهية المسمومة ويشمها الطفل . يراها فى عينى أبيه الجامدة الجافة . يراها فى عينى أمه التى تحمل فى نظراتها العداء والحقد . يراها فى التعامل الخشن ويسمعها فى الألفاظ الجارحة الممزوجة بالمرارة والمحملة

بالسخرية والتهكم . يراها فى القسوة المتبادلة . فى التحدى السافر . فى المشاجرات الدائمة . فى الصوت العالى . فى الألفاظ البذيئة . أحياناً فى التشابك بالأيدى .

.. وقد تكون الكراهية غير ظاهرة . غير معلنة . ورغم ذلك يشعر بها الطفل يشمها .. يراها .. يسمعها .. إن حواس الطفل جميعها مهيأة بالغريزة لالتقاط أبسط إشارات الحب أو الكراهية .. الكراهية المختفية تتبدى رغم إرادة الطرفين فى الابتسامة الصفراء ، فى الصوت غير الودود ، فى حركات الجسم المتشنجة .. فى العطاء غير النابع من القلب والذى يتوقف على عطاء الطرف الآخر مثل تعامل الغرباء فى سوق الحياة ، العطاء غير النابع من القلب هو عطاء غير صادق ، مشروط ، محدود ، وهو عطاء مادى بحت .

.. إن نظرات العينين ، وتعبيرات الوجه ، ونبرات الصوت ، وحركة الجسد تعكس بوضوح المشاعر الإنسانية حتى وإن لم ينطق بها الإنسان .

.. والطفل الذى ينشأ فى جو الكراهية المعلنة أو غير المعلنة فإنه قد يفشل فى التجاوب بالحب مع شريك حياته . وأسوأ درس يتعلمه أن الزواج من الممكن أن يقوم وأن يستمر بدون حب . وأن العلاقة بين الزوج والزوجة من الممكن أن تكون علاقة ندية لا يعطى فيها الإنسان إلا بقدر

ما يأخذ ، وأن المصلحة الشخصية تعلو فوق مصلحة الطرف الآخر ومصلحة الزواج والأسرة .

.. فى جو الكراهية يتعلم الطفل الأنانية . يتعلم أن يتعايش مع المشاعر السلبية ولا يرى فى ذلك أى معوق للحياة .

.. فى جو الكراهية يتعلم الطفل الحقد . والعداوة . والقسوة .

.. فى جو الكراهية لا يتعلم الطفل أسلوب حل الصراعات مع أقرب الناس . بل يتعلم كيف يعمق هذه الصراعات ويزيد من حدتها . يتعلم فن المباريات غير الشريفة وغير النزيهة . يتعلم كيف يغيظ الطرف الذى أمامه .. يتعلم كيف يؤذى .. كيف يعاقب بقسوة .. كيف يظلم .. يتعلم كيف يصبح شريك الحياة على هامش حياته وليس محورها .. تصبح له أولويات أخرى . مع أنه فى الزواج الصحيح ، الزواج الحقيقى ، الزواج الصادق ، الزواج السعيد يكون شريك الحياة هو محور الحياة .

.. والكراهية تفتح أبواب الخيانة لمن لديهم الاستعداد للخيانة . وقد يرى الطفل ذلك بعينيه ويسمعه بأذنيه ويدركه بمشاعره ثم بعقله . وهذه هى كارثة الكوارث . ويتعلم الطفل أول درس فى عدم الإخلاص . ويصبح الوفاء قيمة لا معنى لها عند الطفل .

.. ومن كانت أمه خائنة فالخيانة تصبح سهلة عليه .
ومن كان أبوه خائناً فالخيانة تصبح سهلة عليه .

.. حقيقة إن الخيانة كالمرض لابد أن يكون الإنسان لديه الاستعداد التكوينى لكى يخون .. ولكن الظروف البيئية المحيطة تصبح عاملاً قوياً فى تفجير هذا الاستعداد وإظهار المرض وخاصة إذا عاش الطفل نفس الظروف حين يكبر ويتزوج .

● ثم نأتى إلى ثالث الدروس التى يتعلمها الطفل عن الحياة الزوجية من أمه وأبيه وترسخ فى ذهنه وتتبدى فى سلوكه حين يتزوج وهى عن دور الرجل ودور المرأة . إن هذا قد يختلف من مجتمع إلى مجتمع ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن مستوى اجتماعى ثقافى تعليمى إلى مستوى اجتماعى ثقافى تعليمى آخر . ولكن تبقى الحقيقة الأزلية الخالدة الراسخة وهو أن هناك دوراً أنثويا فى الحياة ودوراً ذكريا . دورا للمرأة ودوراً للرجل . صورة نموذجية للمرأة الأنثى وصورة نموذجية للرجل الذكر .

وأحد الصراعات التى من الممكن أن تنشأ بين الزوجين هو محاولة أحدهما النيل من دور الآخر ومكانته .

.. قد تنافس المرأة الرجل فى مجالاته الرجولية الذكرية .

قد تحاول أن تنال منه فى هذا الاتجاه . قد تحاول أن تجهض رجولته .

ربما لا يكون ذلك عن عمد ولكن عن زيادة السمات الذكرية فى شخصيتها . أو ربما لأنها لم تقتنع بزوجها كرجل حقيقى . وربما لأن إمكانيات هذا الرجل الرجولية الذكرية محدودة مما أتاح للأنثى السوية التى أمامه أن تجتاز الحدود لتعتدى على رجولته وذكورته المنقوصة .

هذه الصورة تؤثر سلبياً على شخصية الطفل الذكر والطفلة الأنثى . تهتز صورة الرجل ولا يجد الطفل نموذجاً حقيقياً متكاملاً يتوحد معه . وترسخ فى ذهنه صورة الأب الضعيف والأم القوية المستبدة . والابنة أيضاً تنصرف عن هذا النموذج الذكرى الضعيف وتظن أن كل الرجال ينتمون إلى نوعية أبيها ، وتتوحد مع النموذج الأنثوى القوى لأمها وهو النموذج الأقرب إلى طبيعة الذكور .

والغريب فى الأمر أن هذا الطفل حين يكبر ويتزوج فإنه يختار نموذجاً أقرب إلى طبيعة أمه . وأن هذه الطفلة حين تكبر وتتزوج تختار نموذجاً أقرب إلى طبيعة أبيها . فهذا الطفل حين يكبر لا يستطيع أن يتعايش مع أنثى حقيقية . وهذه الطفلة حين تكبر لا تستطيع أن تتعايش مع ذكر حقيقى . وبذلك يلتقى دائماً النموذج الأنثوى المسيطر مع

النموذج الذكرى الضعيف . فهذا النموذج الأنثوى المسيطر لا يمكن أن يتقبله ويتعايش معه إلا نموذج ذكرى ضعيف . وهذا النموذج الذكرى الضعيف لا يمكن أن يتقبله ويتعايش معه نموذج أنثوى سوى . وهو ذاته لا يمكن أن يتعايش مع النموذج الأنثوى السوى . ولهذا لا يقبله إلا نموذج أنثوى مسيطر .

.. هكذا يحدث تشويش فى الهوية الجنسية لدى الطفل سواء أكان ذكراً أو أنثى . يضطرب الإحساس بالذات . يضطرب الإحساس بالانتماء إلى جنس معين . يضطرب التصور عن طبيعة كل جنس ودوره فى حياة وشكل العلاقة الطبيعى بين الجنسين .

.. هذه النوعية من الاضطرابات هى أحد المصادر الرئيسية والأسباب الفعلية للزواج الشقى غير السعيد .

● والأزواج الصامتون ينتجون أبناء صامتين . والصمت هنا بمعناه السلبى .. إنه الصمت الذى يعنى أن كل طرف يخفى مشاعره وأفكاره وانفعالاته الحقيقية ولا يتبادلها مع الطرف الآخر . لا نقصد هنا الصمت الكلامى . فمن الطبيعى أن يصمت الأزواج فى أوقات غير قليلة لأنه ليس من المعقول أن يظلوا يتكلمون كل الوقت . لابد للإنسان أن يصمت كلامياً بعض الوقت ليخلو إلى نفسه ويتأمل داخله

ويعيش أفكاره ومشاعره ويراها ويحسها بوضوح ، ولكى يتاح له أيضاً التفكير فى الطرف الآخر ، وكذلك التفكير فى مشاكل الحياة الأخرى الخاصة والعامة .

ولكن هناك نوعاً آخر من الصمت وهو الصمت السلبى وهو يعنى اختناق قدرات التعبير والتبادل والتفاعل المستمر والمشاركة فى كل دقائق الحياة وكل خطرات النفس وذبذبات الوجدان وتفانين الفكر .

فالحياة الزوجية هى حياة المشاركة وليست حياة التباعد . هى حياة الاقتراب والالتصاق والذوبان أى حياة التفاعل التلقائى الحر وليست حياة الاستقلال . الحياة الزوجية هى حياة التعبير الحر الصادق التلقائى وليست حياة الانغلاق على الداخل ، الطفل بكل حواسه يدرك بالتفاصيل نوع التبادل الذى يحدث بين والديه . يتعلمه . وطالما أنه صادر عن والديه فإنه يتقبله كحقائق لابد أن ترسخ ، ونموذج كامل لابد أن يُحتذى كسلوك . الطفل لا يستطيع بسهولة أن يحيد عما تعلمه عن أبويه . إن ما يتعلمه عن أبويه هى أشياء مقدسة غير قابلة للمناقشة . وإذا اكتشف عدم صحتها أو عدم موضوعيتها أو زيفها حين يكبر فإنه لا يستطيع رغم ذلك أن ينتقدها أو يهاجمها كما لا يستطيع بسهولة أن يغيرها فى داخله . إنه النقش على الحجر الذى لا ينمحى بمرور الأيام والسنين ولا يتغير بأفكار بديلة .

ولهذا يتعلم الطفل الصمت . يتعلم المشاركة النصفية والتبادل غير الكامل والنماذج المنقوصة والانصهار المحدود والتفاعل القليل جداً . إنه صمت الأفكار . وصمت العواطف . وصمت الانفعالات . وبذلك تكون هناك مسافة .. هوة .. أو جدار . تواصل غير كامل .

.. وليس بالضرورة أن يعكس هذا عداء أو عدم حب أو عدم اهتمام . ولكنه أسلوب . طريقة . طباع . شخصية معينة . شكل من أشكال التفاعل والتبادل الإنسانى .

.. المهم أن الطفل سينقل هذا الأسلوب معه ليكون هذا هو شكل تفاعله مع شريك حياته .

● ويرتبط بالنقطة السابقة أيضاً أمر له أهمية . وهو أن الحب الحقيقى قد يكون موجوداً ولكن دون أن يُعبر عنه . وهذا أيضاً مرتبط بنوعية معينة من الشخصيات التى تعجز أو لا تجيد أن تعبر عن عواطفها الحقيقية الجياشة الصادقة . قد يكون نوعاً من الخجل أو الحياء أو عدم إدراك أهمية التعبير عن مشاعر الحب أو الانشغال أو تصورا خاطئا أن هذا لا يصح أمام الأطفال .

هذا الطفل سيجد صعوبة أيضاً فى التعبير عن عواطف الحب لشريك حياته . وفى بعض الأحيان يخلق هذا الأسلوب

مشكلة مع شريك الحياة وخاصة إذا كان محتاجاً لتأكيد العواطف عن طريق الكلمات .

.. قد يتصور البعض أن التعبير عن عاطفة الحب لا ينبغى أن يكون بالكلمات . ولكن يظل عند البعض الآخر مهماً أن يكون التعبير عن الحب بالكلمات بالإضافة طبعاً إلى وسائل التعبير الأخرى .

.. ولكن حين يسمع الطفل كلمات الحب الصادقة متبادلة بين والديه فإنه سيرسخ لديه أكثر المعانى الجميلة للحب الزوجى . إن الطفل فى سنه الصغيرة يحتاج إلى وسائل التعبير الواضحة والظاهرة لتتأكد لديه المعانى .

● ولغة الحوار الزوجى يتعلمها الطفل أيضاً من والديه وتصبح هى ذاتها نفس لغته التى يتحاور بها مع شريك حياته . وأحد الأسباب المهمة للصراع الزوجى يدور حول هذه اللغة وخاصة إذا كان هناك تفاوت بيئى بين الزوجين .

البعض لا يملك إلا أن يحاور بلغة ركيكة وألفاظ متدنية وعبارات غير طيبة . وهؤلاء يجدون رفضاً وضيقاً ونفوراً ممن تعودوا على الاهتمام بالجوانب الجمالية فى الحوار ولا ينطقون إلا بكلمات طيبة وألفاظ رفيعة وعبارات سامية تؤكد رفعة المستوى البيئى والثقافى والتعليمى والاجتماعى الذى نشأوا فيه وأتوا منه .

.. الابن سيخاطب زوجته بنفس الطريقة التى كان أبوه يخاطب بها أمه .

.. والابنة ستخاطب زوجها بنفس الطريقة التى كانت أمها تخاطب بها أباها .

● والأسرة الديكتاتورية التى ينفرد فيها شخص واحد بالقرار تنتج أبناءً وبنات يتسمون بالديكتاتورية . والديكتاتورية هى الإلغاء الكامل للطرف الآخر ، بمعنى إلغاء دوره كعقل وككيان قادر على التفكير والمشاركة وتحمل المسئولية . والديكتاتورية بهذا المعنى تصبح إجهاضاً كاملاً لمعنى الزواج ومضمونه والهدف منه .. إنها هدم لكل أساسيات وقيم الزواج . فالزواج هو أن نكون معاً . هو المشاركة . هو المسئولية . هو الرعاية المتبادلة والاهتمام المتبادل . هو الهدف الواحد . والمستقبل الواحد . الديكتاتورية هى أنانية ونرجسية وسادية . الديكتاتورية قهر .. قهر لمعنى الإنسانية . أى أن الديكتاتورية حالة لا إنسانية . وإذا كانت الأم ديكتاتورية تصبح ابنتها مثلها . وإذا كان الأب ديكتاتورياً يصبح ابنه مثله . ثم تصير الابنة زوجة ديكتاتورية . ويصير الابن زوجاً ديكتاتورياً .

.. وفى ظل الديكتاتورية يختل المعنى وتتشوش الصورة . معنى وصورة الزواج . زواج مضطرب . زواج لا يحقق

سعادة حقيقية . زواج غير مشبع . زواج لا يحقق الحد الأدنى من المتطلبات الروحية والنفسية بالرغم من أنه قد يحقق الحد المعقول أو حتى الحد الأقصى من المتطلبات المادية .

.. وقد يقبل الطرف المجنى عليه ديكتاتورية الطرف الآخر . يقبل أن يُلغى عقله وتُمحى شخصيته . يقبل أن يصبح هامشياً فى تلك العلاقة .

.. قد يقبل لأن هذه هى إمكانياته وقدراته وهذه هى شخصيته . وقد يقبل كارهاً وعلى مضض لظروف خاصة . ولكن قد ينقلب الحال – وربما بعد سنين طويلة – حين يضعف الديكتاتور . قد يضعف بسبب تقدم العمر أو بسبب مرض أو لانهيار اقتصادى أو اجتماعى أو سلطوى أصابه وجعله ضعيفاً من بعد أن كان يستمد منه القوة . حين يسقط الديكتاتور أو يضعف تتحفز أنياب وأظافر الطرف الآخر . وشعورياً أو لا شعورياً ينكل بالديكتاتور الضعيف . وعن تعمد أو بدون تعمد ينتقم من الديكتاتور الضعيف . تنعكس الصورة .. تنشط الجوانب السادية والانتقامية والعنيفة فى الجانب الذى عاش طويلاً فى ظل القهر فينتقم من الديكتاتور المنهار . وتلك هى أسوأ نهاية للعلاقة الزوجية . وتلك أسوأ صورة لمعنى الزواج . وذلك أفظع درس يتلقاه الأبناء عن

الزواج . هكذا تنتقل الديكتاتورية من جيل إلى جيل . وهكذا تنتقل العداوة من جيل إلى جيل . ولا يصح زواج فى ظل الديكتاتورية حتى وإن استمر . واستمراره سينطوى على عداوة مستترة مكبوتة وإحساس بالقهر وشعور بالظلم وانتظار للوقت المناسب للانتقام ..

الديكتاتور إنسان غير مؤهل للزواج . أى لا يصلح للزواج . وإذا تزوج فلن يقيم حياة زوجية موفقة . وستمتد ديكتاتوريته إلى الجيل الذى بعده .

الشخصية والزواج

.. شخصيات صعبة

.. تحدثنا فى الجزء السابق عن المعنى المأساوى للطلاق . وعن الإنسان الذى لا يصلح للزواج . فإذا تزوج فإن الحياة الزوجية تصبح مهددة بالطلاق . ومن الأفضل أن نقول إنه إنسان مهيأ للطلاق . وأن سمات هذه الشخصية الانفصالية يكتسبها الإنسان منذ طفولته فى ظل حياة أسرية غير سعيدة .

.. ولو أردنا تحديداً فمن الأفضل أن نتحدث عن شخصيات بعينها بسماتها المتكاملة . شخصيات لا تصلح للزواج . وإذا تزوجت أسهمت فى حياة زوجية غير سعيدة مهددة بالطلاق . شخصيات متطرفة أقرب إلى المرضى . شخصيات من الصعب الحياة معها . والطب النفسى صنف هذه الشخصيات وأعطاها أسماءً وحدد لها سمات . شخصيات تعيش بيننا .

تعذبنا وتقلقنا وتجعل الحياة صعبة خالية من أية متعة أو راحة أو سلام . شخصيات تفزعنا وتنزع من نفوسنا الإحساس بالطمأنينة .. إنها شخصيات صعبة .

1 - الشخصية النرجسية :

.. هو المختال الفخور الذى يمشى فى الأرض مرحاً كأنما هو قادر على أن يخرق الأرض وأن يبلغ الجبال طولا . هو المغرور المتكبر المتعالى الذى لديه شعور طاغ بأهميته وبأنه هو الأوحد الذى يملك أندر الصفات وأغلى المواهب ولا أحد مثله ولا أحد يضاهيه ولا أحد يملك أن ينافسه . والويل لمن يحاول أن يبرز بجواره أو أن يتعداه أو حتى أن يرفع قامته بجانبه . فهو لا يرى إلا نفسه عملاقاً دون بقية الناس . إنه معجب بنفسه أيما إعجاب ، مزهو بذاته إلى حد الجنون .

إنه عشق الذات الذى يقف حائلاً أمام عينيه وعقله فلا يرى الناس إلا أقزاماً أقل قدراً وأقل شأناً منه . ولهذا فخياله دائماً يتجه ناحية النجاح غير المحدود ليكون فى القمة وينشد إليه الناس مهتمين معجبين مباركين تابعين . والمحيطون لابد أن يسخروا أنفسهم لخدمته وراحته والعناية به . هو يستغلهم ويستثمر إمكانياتهم ويستنفد طاقاتهم لخدمة مصالحه ثم ينكر جهودهم فى النهاية ويبدو هو فى صورة

المبدع الخلاق العالم المفكر ، بينما الحقيقة أنه قام بتجميع جهود الآخرين وصاغها فى قالب سطر عليه اسمه بخط عريض بارز . تعرفه من ملابسه الذى يبالغ فى أناقتها والتى قد لا تتناسب أحياناً مع عمره .. تعرفه من طريقة مشيته ، تعرفه من صوته . تعرفه من طريقة حديثه عن نفسه وإنكاره واحتقاره لجهود الآخرين . وهو لا يحمل مشاعر لأى إنسان . لا يتعاطف ولا يتألم من أجل أحد . لا يضحى . لا يتنازل . لا يعطى . وإذا أعطى فمن أجل مصلحة ولا يتورع عن إذلال من أعطاه . فهو الذى يتبع صدقته بالمن والأذى . وصدقته ليست لوجه الله ولكن من أجل أن يحقق شهوة التفضل والتميز والعلو ، ولا شىء يشغله غير ذاته المتضخمة المتورمة فهو متمركز حولها وبالتالى فهو يبالغ دائماً فى قدراته وإنجازاته . وهى مبالغة غير موضوعية .

.. ولشدة ولعه بالاستحواذ على اهتمام الآخرين وشدهم إليه ليدوروا حول مركزه ، فإن اهتمامه بالسطح وبالقشرة وبالمظهر يكون طاغياً على حساب الاهتمام بالموضوع . فلا عمق لديه بل هو إنسان ذو سطح لامع وخاو جداً من الداخل . ولهذا لا يحقق إبداعاً حقيقياً أو إنجازاً علمياً . لايضيف شيئاً بل هو مُقلد مزور ، وهو يجيد فقط تلميع ما عنده وحسن عرضه ، كالتاجر الماهر الخادع الذى يهتم اهتماماً بالغاً بواجهة العرض وإبراز بضاعته وحسن تنسيقها

ورفع سعرها ورفع شأنها مع أنها بضاعة فى حقيقة أمرها متوسطة الجودة .

.. وهو يتوقع أن الناس لابد أن تجامله وأن تهادنه وتقدم إليه الهدايا وأن تتطوع لخدمته ، وبالرغم من ذلك لا يكون مديناً لهم بالمقابل وليس مطلوبا منه أن يجاملهم وأن يهدى إليهم ، أو أن يقدم لهم خدمات مقابل ما قدموه له . فالرعية هى التى تتودد وتتلذذ بخدمة الملك وليس الملك هو الذى يتودد إلى الرعية .

.. ولذا فهو يغضب ويثور ويتوعد إذا لم يقم المحيطون بواجبهم نحو خدمته ومجاملته . وغضبه يصل إلى مداه إذا تجاهلوه وعاملوه بغير اهتمام . يمتلىء قلبه غيظاً وحنقاً ويهاجمهم ويؤذيهم إذا تمكن من ذلك . إن هذا الإنسان توقعاته من الناس غير معقولة وغير متوازنة .

.. علاقاته بالناس قائمة على الاستغلال والانتهازية والأنانية . أصدقاؤه مرحليون . كل حقبة بأصدقاء جدد يمتص دماءهم ويستفيد منهم حتى إذا اكتشفوا أمره وكرهوا غروره انتقل هو إلى مجموعة جديدة لا تعرف تشوهاته النفسية .. ولهذا لا أصدقاء دائمين مخلصين . لا أحباء . لا صلات مودة . لا مواقف إنسانية . لا إحساس بضعف الآخرين ومعاناتهم .

.. هذا الإنسان معرض لنوبات اكتئاب وخاصة إذا تعرض لفشل ، أو إذا تحدى الآخرون كبرياءه وغروره وإذا تجاهلوه أو احتقروه .

.. ونرجسيته تجعله شديد الحرص على نفسه أى على صحته . يراعى نظاماً غذائياً صحياً ويمارس الرياضة ويتابع حالته مع الأطباء . يهتم بأن يبدو دائماً شاباً وقوياً ويعانى نفسياً كلما تقدمت به السن . ويداهمه الاكتئاب الحقيقى إذا انتزعت من يديه السلطة والقوة وابتعد عن دائرة الضوء والاهتمام بإقالته أو حين إحالته للمعاش . وهنا تبدأ أيضاً معاناته الجسدية من آلام واضطرابات ينشغل بها لدى الأطباء .

.. والنهاية تكون مؤلمة . لأن الإنسان يسير إلى ضعف .. السلطان يزول .. والمال يقل . والقوة تضمحل . والجمال يزوى . والصحة تعتل . ولا يبقى أمام النرجسى إلا الحسرة والأسى .

□ □ □

هذا هو الإنسان النرجسى . وهو يجعل الحياة الزوجية صعبة . فهو لا يستطيع أن يحب .

وبالتالى فهو لا يُحب . أى إنها حياة تفتقد الحب .

وبالتالى تفتقد المودة والرحمة . حياة جافة . جوفاء . سطحية . مظهرية . شكلية . حياة بلا معنى ولا مضمون ولا عمق . حياة باردة جداً إلى حد الصقيع . بعض الناس لا يحتملون الحياة الدائمة مع إنسان نرجسى . ولذا فالحياة الزوجية قد تنتهى إلى طلاق . بعد سنة . أو بعد عشر سنوات . أو بعد عشرين سنة .

٢ - الشخصية الاضطهادية .. « البارونيد » :

.. المحور الأساسى الذى تدور حوله هذه الشخصية هو الشك فى كل الناس . سوء الظن . توقع الإيذاء من الآخرين . كل الناس فى نظره سيئون . هذا هو موقفه الذى لا يتزحزح عنه ، وهذا هو رأيه فى كل الناس .

.. إن أى إنسان قد يشك أو قد يسىء الظن فى إنسان آخر أو فى مجموعة من الناس فى ظروف معينة . ولكنه إذا كان سوياً فإنه يغير رأيه إذا أثبتت الظروف حسن نية الآخرين ، أو إذا كان هناك دليل على براءتهم . هنا يعتذر هذا الإنسان السوى عن سوء ظنه وشكه ويؤنب نفسه . أما « البارونيد » فإنه يظل على موقفه مهما كانت الأدلة ومهما أظهر الآخرون حسن نواياهم ومهما أجمع الناس على أنه مخطىء فى سوء ظنه . إنه يتمسك بشكوكه ويظل يرى السوء فى

الآخرين . ولهذا فهو فى حالة تحفز . فى حالة استعداد دائم لصد عدوان يتخيله أو إفساد مؤامرة تحاك ضده .

.. وكل من يحاول أن يثنيه عن سوء ظنه يضعه فى القائمة السوداء ويضمه إلى قائمة السيئين . ولهذا فهو دائم الشعور بالاضطهاد . والشعور بالاضطهاد يولد عدوانية داخلية . فهو ضد كل الناس . ويضمر الكراهية أو عدم الارتياح أو عدم الحب لمعظم الناس . ومن السهل أن يتحول إلى شخص عدوانى يؤذى إذا أتيحت له الفرصة لذلك . والعدوان قد يأخذ صوراً متعددة ، كالنقد اللاذع والسخرية والاستهزاء بالآخرين . قد يواجه الناس برأيه فيهم وقد ينتقدهم من خلف ظهورهم . وانتقاداته جارحة وتسبب حرجاً وألماً ، ولا يراعى مشاعر الآخرين ، بينما هو لا يتقبل أى نقد أو توجيه ، فهو شديد الحساسية لآراء الآخرين ويتخذ مواقف عنيفة وعصبية فيها تهور إذا تعرض له أحد بالنقد أو باللوم . ولذا فهو معدوم الأصدقاء وعزلته تزيد من شعوره بالاضطهاد وتزيد من عدوانيته وعداوته .

.. والحوار مع هذه الشخصية مضن ومتعب ، فهو لا يقبل ظاهر الكلام وإنما دائم البحث عن الدوافع الخفية والمعانى الدفينة . والنقاش معه يطول ويطول وهو فى الغالب محاور بارع يجهد من يحاوره ويُحمل المواقف والكلمات أشياء

ومعانى بعيدة أو مبالغاً فيها . تتوه وأنت تحاوره وقد لا تفهم ماذا يقصد وتندهش لتفسيراته وتحليلاته المشبعة بسوء الظن وتوقع الغدر والخيانة وكل ما هو سيىء .. وإذا أكدت الأحداث توقعاته شعر بزهو شديد ، أما إذا أكدت الأحداث خطأ توقعاته وتحليلاته فإنه لا يتراجع عن سوء ظنه . حتى فى المواقف الجديدة ومع الناس الذين يقابلهم لأول مرة فإن سوء ظنه يكون هو الغالب ، ولذا يجد فى البحث عن أدلة لإثبات صحة نظريته .

.. وهذا الإنسان بلا عواطف ، أو عواطفه محدودة جداً ، وتستطيع أن تقول إنه إنسان بارد . وكلمة بارد ذات دلالة ومغزى كبيرين ، ومعناها أنك لا تستقبل منه أى شىء ، لا تستقبل منه دفئاً أو مودة أو تفاهماً أو تعاطفاً . بل على العكس تهب عليك من ناحيته رياح باردة شائكة وسامة أيضاً . وهو يفتقد لروح الفكاهة والمرح ، قليل أو نادر الابتسام ، لا يضحك من قلبه ، وابتسامته سوداء صفراء ساخرة . والغريب أنه يصف نفسه دائماً (ليدافع عن برودته) بأنه إنسان موضوعى عقلانى . العقل عنده مقدم على العاطفة . والحقيقة أنه لا عقل ولا عاطفة . فهو لا يتألم من أجل أى إنسان أو حيوان .

.. وهو صلب . لا يتنازل . ولا يقبل حلولاً وسطا . تقلقه محاولات التودد والاقتراب من الآخرين . يتحاشاهم ويبتعد

عنهم . يتحاشى أى تورط وجدانى . ولذا يحاول الاعتماد على نفسه دائماً والاكتفاء الذاتى ولذا فهو متمركز حول نفسه بشكل خطير قد يصل إلى الإحساس المرضى بالتيه والزهو والشعور بالأهمية . إنها حالة من تضخم الذات التى تكون من سمات الشخصية « البارونيد » فى غالب الأحيان .

تكثر هذه الشخصية بين المتعصبين والمتطرفين وأصحاب الأفكار الغريبة والباحثين عن الزعامة والذين يتجسسون على الناس للإيقاع بهم . وكما تكثر بين الذين تقدم بهم العمر بدون زواج . وأيضاً تكثر بين المطلقين والمطلقات .

وفى مجال العلاقة الزوجية فإننا نجد أن الزوج « البارونيد » علاقته بزوجته مضطربة لسوء ظنه وغيرته وشكه وتقليله من شأنها وحساسيته لأى كلمة تصدر عنها . حياته الزوجية يسودها البرود وتلفها عداوة مستترة . ونفس الأمر فى علاقته بأبنائه . ولسوء ظنه وشكه الدائم فإنه يبث فى أبنائه وبناته عدم الثقة والحذر المبالغ فيه وعدم القدرة على إقامة علاقات مشبعة مع الآخرين . والزوجة التى لها هذه الشخصية تحقق نفس القدر من الخيبة فى الحياة الزوجية وغيرتها تصل إلى حد المرض ، ومن المستحيل أن تثق ولو للحظة فى صدق زوجها . فهو فى نظرها وكل الوقت كاذب ومخادع وخائن وتتوقع منه الغدر فى أى لحظة .

.. إذن الحياة الزوجية للإنسان « البارونيد » رجلاً كان أو امرأة هى حياة فاشلة . فلا حياة تقوم على الشك وسوء الظن . ولا حب يستمر مع التعالى والغطرسة . ولا مودة تسود مع روح التحفز والتوقع السيىء .

٣ - الشخصية الهستيرية :

التعامل مع هذه الشخصية يسبب إزعاجاً وحيرة وتوتراً وضيقاً . وإذا كان الإنسان مضطراً للتعايش معها فإنه يصاب بالإحباط واليأس ويستولى عليه النفور . فهى صارخة متقلبة واعية وغير واعية بسلوكها الذى يسبب غيظ الآخرين وحنقهم وحيرتهم . وهى لا تبالى بمشاعر الآخرين واحتياجاتهم ، وإنما يهمها ذاتها وراحتها وتحقيق رغباتها .

.. أنانية بلا حدود ، ليس لديها ذرة عطاء للآخرين . وإذا أعطت فذلك أمر مؤقت مرهون بقضاء مصلحة أو حباً فى الظهور . ولذلك فهى لابد أن تعلن عن عطائها حتى وإن كان فى ذلك جرح لمن أعطت . فهى قد تتنكر لصديق محتاج أو فقير أو مريض فى أشد الاحتياج وتضن عليه بالقليل ، ولكنها فى نفس الوقت تعلن عن تبرعها بمبلغ كبير فى حفل عام لجمعية ترعى الحيوانات من أجل أن يقال عنها إنها محسنة كريمة .

.. وأنانيتها مرتبطة ببخلها ومرتبطة أيضاً برغبة مطلقة فى الاستحواذ على كل شىء .

.. وسلوكها فى أى وقت وفى أى مكان فج أو حارق أو زاعق أو صارخ . أى لابد أن يلفت النظر . تلك هى سمة أساسية أو هى محور كل السمات فى هذه الشخصية الغريبة . فهى لا يمكن أن تتواضع وتتوارى أو تخجل وتقف فى الصف الثانى أو تنكر جهدها أو تقدم غيرها على نفسها أو تصمت أو تتبسط فى مظهرها .. إنها دائماً تسعى لأن تكون فى الصف الأول . وفى قلب الصف الأول أى فى المركز حيث دائرة الضوء . وأن تلفت كل العيون بمظهرها الصارخ جداً . فمن المستحيل أن تراها بفستان بسيط وألوان هادئة . ولذا فجنون الموضة هو من أجل إرضاء صاحبات الشخصية الهستيرية . وهدفها بالطبع أن تكون هى محط كل الأنظار وليس بعضها . والويل لمن يتجاهلها أو يبدى اهتماماً بغيرها . إنها تنقلب ضده وتهاجمه وإن أمكن تجرحه . ولفت الأنظار لا يكون بالمظهر فقط وإنما باللسان والصوت وحركات الوجه والضحكات الرنانة والحديث المتواصل الذى لا ينقطع . ولابد بالطبع أن يكون حديثاً مثيراً . ولذلك فهى تبالغ فى كل شىء وتحكى عنه بإحساس عميق (زائف) وتأثر بالغ وكأنها تؤدى دوراً على المسرح . درامية التعبير

والسلوك مبدية على السطح كماً من العواطف البالغة ولا مانع من أن تدمع عيناها تأثراً ..

.. حماسها لأى شيء جديد لا حدود له . وسرعان ما يفتر هذا الحماس ويخمد ويتبخر نهائياً ، وربما تتبنى موقفاً مضاداً لنفس الشيء الذى تحمست له فى البداية .

.. عواطفها لأى إنسان تتعرف عليه فياضة جياشة . وتعيش قصة حب تهتز لها الأفئدة . وتتحور وتندفع وتصرخ وتعادى من أجل حبها . ولكنها مثل تأثير الخمر فى العقول ، تحدث نشوة ثم تتبخر وتخلف الضجر والصداع . هكذا ينقلب حبها إلى إحساس بالملل والفتور والإعياء واللامبالاة وكأنه لم يعبر بقلبها شيء .

.. وتصادق بنفس الطريقة . حماس وارتباط وهيام والتصاق .. ثم لا شيء .

.. ولذا لا حبيب لها .. ولا صديق لها .. ولا صديقة لها .. حتى أقرب الناس إليها يبتعدون عنها . يتحاشونها لأنها متقلبة ، لا أمان لها ، ولا يمكن الاعتماد عليها ولا يمكن الوثوق بها . غير ملتزمة ، غير مهتمة ، غير مخلصة ، وأيضاً غير صادقة . فهى تكذب وتكذب . فالكذب سمة من أهم سماتها . والنميمة من أهم قسماتها . فحديثها عن الآخرين دائماً ليس به خير . فهى تلوك سيرة الناس وتفتش

عن عيوبهم وتتحدث عن نقائصهم وتشيع عنهم الأخبار السيئة والتى تضر بسمعتهم ولا تبالى إذا تسبب ذلك فى الإضرار بصديق أو قريب وتستمتع بالفضائح وخراب البيوت وتتلذذ بالضيق الذى ينزل بالناس . إن روح الشر تسيطر بشدة على هذه الشخصية . وسعيها من أجل جذب الأنظار وشد الانتباه وتعليق القلوب يصل إلى حد أنها تحاول أن تثير الآخرين بأنوثتها والإيقاع بهم فى حبائلها وتحريك شهيتهم الجنسية . وتلمح باهتمام خاص ورغبة فى علاقة خاصة وقد تظهر حباً وهياماً ولوعة . ويقع المسكين فى حبائلها . ويتصور أنه المحظوظ المختص بحبها واهتمامها . ويفعل أى شىء من أجل إرضائها . يبذل الغالى والنفيس . وحين يقترب أكثر وأكثر ، وحين يسقط داخل دائرة سيطرتها ينقلب الحال ، ويعانى من صدها وهجرها وإهمالها وبرودها ويحترق بنار تجاهلها .

.. والغريب فى الأمر أنه مع هذا السلوك الجنسى الفاضح المبالغ فيه فإنها تعانى من البرود الجنسى . فهى لا تستجيب أثناء العلاقة الجنسية ولا تستمتع بها وربما تنفر منها . حتى إذا بالغت فى العلاقة الجنسية فهذا ليس عن رغبة وإنما لتثبت لنفسها أنها مرغوبة جنسياً ولتثبت للطرف الآخر أنها شهية جنسياً .

.. الشخصية الهستيرية لديها عقد ومشاكل جنسية . إنها غير واثقة من قدراتها كأنثى ، ولهذا فهى تغار إلى حد الموت من أى أنثى أخرى ، ويحترق قلبها إذا استطاعت أى أنثى أخرى أن تسلبها اهتمام رجل .

.. وإذا انكشفت حماقاتها (وهى الحماقة بعينها) أو إذا تعرضت لضغوط أو هجوم أو إذا أهملها وتجاهلها من حولها ، فإنها تهدد بالانتحار . والتهديد بالانتحار هو لعبتها المفضلة ووسيلتها فى استمرار تحكمها بالآخرين وسيطرتها عليهم ، وهى لعبة مكشوفة لمن يعرفونها عن قرب لأنها تكررها فى كل مناسبة وتقدم عليها فعلاً ولكن بوسائل لا تفضى إلى موت حقيقى . ولابد من القيام بمظاهرة مسرحية قبل محاولة الانتحار فتصرخ وتجرى ناحية الشباك أو تندفع محاولة إشعال النيران فى نفسها أو تحدث جروحاً برسغها أو تكتب خطاباً تضعه فى مكان ظاهر وقبل المحاولة بوقت كاف أو تبتلع بضعة أقراص من الأسبرين أو الفيتامينات . أى لابد أن تقول لمن حولها إنها ستنتحر . وتضع شروطاً لكى تقلع عن المحاولة . أى هى تساوم . وهذا أمر مؤلم ومزعج لمن حولها . أمر يضعهم فى صراع بين ضيقهم منها وحرصهم عليها إذا كانت ابنتهم أو شقيقتهم .

.. وهى حادة المزاج . تنفجر غضباً لأسباب تافهة واهية وبلا معقولية . وتتفوه بأقذع الألفاظ وتندفع فى معاداتها

وعنادها . تصرخ وتشد شعرها وتمزق ملابسها وتقذف بأى شىء ثمين أمامها وتحطمه . وطلباتها لا تنتهى ولا شىء يرضيها . وقابليتها للإيحاء سريعة وشديدة . من السهل الإيحاء لها بشىء . ولكن هذا التأثير مؤقت وسرعان ما يزول . وشخصيتها قابلة للتفكك .. ومن السهل أن تصاب بأعراض جسدية تحت تأثير الإيحاء . ومن فرط حبها لذاتها فإنها تصاب بأعراض جسدية فعلاً كالصداع والآلام .

.. ومع الضغط الاجتماعى أو الأسرى الشديد وتضييق الخناق عليها فإنها تصاب بالتفكك الكامل وتنتابها أعراض مرض الهستيريا . فتصاب بالإغماء أو التشنج أو فقدان مؤقت لوظيفة إحدى الحواس كالسمع أو البصر أو تصاب بشلل مؤقت فى أحد أطرافها أو قد تفقد النطق . وكلها أعراض مؤقتة سرعان ما تزول تحت تأثير الإيحاء أيضاً .

□ □ □

هذه هى الشخصية « الهستيرية » .. جمال خارجى وقبح داخلى . عاطفة على السطح وخواء بالداخل . حماس بالظاهر وفتور بالباطن . جنس طاغ بالعيون وموت وفتور بالأحشاء .. مودة بادية وغدر مختبىء .. هى عذاب لكل من يقترب منها .

□ □ □

الشخصية الهستيرية حياتها الزوجية فاشلة بكل تأكيد ..

٤ - الشخصية السيكوباتية :

هو الشر على الأرض . هو الشيطان فى صورة إنسان . هو التجسيد لكل المعانى السيئة والقيم الهابطة . هو الحقد والأنانية والانتهازية والعدوانية والكراهية والإيذاء . هو الجانب الأسود للحياة على الأرض ومجهض لكل المعانى الجميلة والجوانب المضيئة للإنسانية . وهو رائد وراعى الظلم ومهندس الخيانة وحامى الرذيلة والمبشر بالنذالة فى كل وقت .

.. وقد يكون جميل المنظر بهى الطلعة سمح الوجه برىء الهيئة ولكن كل ذلك تغطية لقلبه الأسود ونفسه التى تشع ظلاماً . فهو إذا كان ذكياً فإنه سوف يجيد تخبئة كل سماته الفاسدة المفسدة ليتمادى فى الخداع والخديعة والإيذاء . وقد يظل الكثيرون مُنخدعين مُضللين يرونه الشهم الأمين العادل المنصف المحسن الودود الحليم . قد يفلح فى لبس القناع وإحكامه كأبرع ممثل ويعيش فى وسط الناس هادياً ورائداً ومعلماً وناصحاً ومبشراً بالخير والنور .

إن السيكوباتى العدوانى الاقل ذكاءً ينكشف أمره بسهولة . يتحاشاه الناس أو يخشونه ويرهبونه أو يقاتلونه . أما السيكوباتى الذكى ويُعرف أيضاً بالسيكوباتى المبدع فهو الأخطر لأن شروره تستشرى دون أن يدرى به أحد . أو يكون

من الذكاء بحيث يخضع الناس له بسلطانه أو بماله أو بالتحكم فى أرزاقهم ومستقبلهم أو بابتزازهم .

.. ولا أصدقاء دائمين له .. هناك أصدقاء لكل مرحلة . وحين ينكشف أمره بين أصدقائه ينتقل إلى مجموعة أخرى . يكون شلة أخرى . وحين تنتهى مصلحته مع مجموعة ، سرعان ما يهملها ويسفهها وينتقل إلى مجموعة أخرى ترتبط مصالحه بهم فى هذه المرحلة وهكذا ..

.. لا قلب ولا عواطف ولا مشاعر ولا أحاسيس . لا شىء بالمرة . وإنما ملذاته وأهواؤه ورغباته وأطماعه وشهواته هى التى تقوده وتحركه . وكلها شهوات مادية حسية تسلطية . لا يضحى من أجل أحد . وإذا أظهر تأثراً فهو تأثر كاذب . إنه كالممثل تماماً الذى يظهر تعبيرات الحزن والألم على وجهه ولكنه لا يشعر شيئاً بداخله .

.. يخون أصدق صديق . يتسلق فوق كتف أقرب قريب . يدوس على عنق أعز عزيز . المهم أن يصل إلى هدفه .. أن يعلو .. أن يحقق طموحاته . ينسى من ساعدوه ، بل يتحاشاهم ويهرب منهم ويتنكر لهم حتى لا يشعر بأنه مدين لأحد .

.. وهو يكذب دائماً . ولقد تمرس فى أن يبدو صادقاً وهو يمعن فى الكذب . ويحلف بأقدس يمين وهو كاذب ولا يتورع

عن أن يكذب فى أخطر الأمور وأمام أى إنسان وأى مجتمع . يكذب ليخادع أو ليدارى خطأ أو ليحقق مأرباً أو يهرب من مسئولية . و« السيكوباتى » المبدع هو الذى يجيد فن الإقناع بالرغم من كذبه ويعكس وجهه فعلاً الصدق ولا يتعثر لسانه .

.. والسلوك الجنسى مضطرب عند السيكوباتى فهو متعدد العلاقات الجنسية غير الشرعية ، وهى علاقات قائمة على الرغبة البحتة دون وجود مشاعر . وهو لا يستطيع ولا يصبر على علاقة واحدة .

.. و« السيكوباتى » صاحب أسرة فاشلة . فهو زوج فاشل وأب فاشل (أو أم فاشلة) ولا يتحمل أدنى قدر من مسئولياته كزوج وكأب أو كأم .

□ □ □

٨ - صعوبة التكيف مع الشخصيات الصعبة

.. أسهبنا فى وصف هذه الشخصيات المضطربة لأنها أحد الأسباب المهمة لعدم التكيف الزواجى . أحد الأسباب المهمة للفشل والتعاسة والطلاق .

.. قد يكون الزواج فاشلاً ولكن يستمر . ولكنه يكون زواجاً تعساً يعانى فيه أحد الطرفين أو يعانى الطرفان معاً .

.. والشخصية المضطربة تتسبب فى خلق صراعات عنيفة حادة ومستمرة . وصاحب الشخصية المضطربة هو الطرف الجانى ولكن بدون أن يعرف . بدون أن يقصد . فهذه هى شخصيته . ولد وعاش بها . والطرف الآخر هو الضحية ولكن بدون أن يدرى أيضاً . فهو لا يدرى سبباً لهذه الصراعات الحادة والمرة والمستمرة . فالمشكلة أن صاحب الشخصية المضطربة لا تبدو عليه أية علامات أو مظاهر أو أعراض غير طبيعية . ولا تكون فترة الخطوبة كافية لأن يكتشف أحدهما الآخر بدقة . غير كافية للتغلغل فى الأعماق وفهم مفاتيح الشخصية .. وهذه هى خطورة الزواج السريع . الزواج بدون معرفة كافية . الزواج بدون اقتراب نفسى . الزواج بدون حب . الزواج بدون معرفة قلبية .. الزواج بدون فهم وتفاهم وارتياح ..

.. ويجتهد كل طرف أثناء الخطوبة وربما فى الأيام الأولى من الزواج أن يبدو كما يحب أن يريده الطرف الآخر أن يكون . ولاشك أنه سيجتهد أن يزوق نفسه . وكل هذه اجتهادات لا تتناول إلا القشرة . القشرة اللامعة الزائفة . ولكن لا يستطيع الإنسان أن يستمر طويلاً فى لعب الدور .

إن المسرحية تنتهى بانتهاء الخطوبة وبعد أيام قليلة من بداية الزواج . ثم يبدو الإنسان على حقيقته . كما هو لا كما يحبه الطرف الآخر أن يكون . لا يجد نفسه مضطراً لارتداء القناع . لا يجد نفسه مضطراً لأن يجهد نفسه لإرضاء الطرف الآخر .

.. وتدريجياً تتكشف الحقيقة . ولابد من مواقف حية فعلية تتبدى فيها سمات الشخصية . فالسمة لا تظهر إلا من خلال موقف حقيقى . موقف على مسرح الحياة وليس مسرح الممثلين .

.. وأهم أربع شخصيات تؤدى إلى اضطراب شديد فى التكيف هى الشخصية « النرجسية » والشخصية « الاضطهادية » والشخصية « الهستيرية » والشخصية « السيكوباتية » .

.. « النرجسى » ليست لديه مساحة حب للآخر

.. و« البارونيد » شديد الحساسية مما يستحيل أن يتعايش معه الإنسان وهو على طبيعته .

.. و « الهستيرى » إنسان زائف .

.. و « السيكوباتى » إنسان يملؤه الشر ويجسد كل القيم الهابطة .

.. حقيقة إن هناك شخصيات أخرى بها سمات متطرفة وصعبة وتشكل عيوباً بارزة فى الشخصية تجعل التعامل معها تكتنفه صعوبات كثيرة ولكن الحياة معها ممكنة . فهى شخصيات قادرة على الحب والعطاء ويملؤها الخير .. وهذه هى المقومات الأساسية لعلاقة إنسان بإنسان . هذه هى المقومات الجوهرية لإقامة صرح الزواج واستمراره .

.. استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان قادر على الحب .

.. استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان قادر على العطاء .

.. استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان يملؤه الخير ..

● الشخصية القهرية مثلاً هى شخصية صعبة . فهى تتسم بالصلابة وعدم المرونة والعناد فى مواقف كثيرة . وتتسم أيضاً بالحساسية . ولكنها شخصية تتسم أيضاً بالصدق والأمانة والشرف والطهارة والدقة والنظام والنظافة . إن أبرز ما يميز هذه الشخصية الإخلاص والوفاء والقدرة على التعاطف . إنها لا تقتنع بسهولة تأخذ وقتاً طويلاً وتتردد . ولكن إذا وصلت إلى قرار فإنها لا تحيد عنه .

.. هذه الشخصية تسبب بعض الصعوبات فى التعامل

اليومى المستمر وخاصة فى نطاق الحياة الزوجية . ولكنها صعوبات من الممكن تحملها . ليس هذا فقط بل يمكن التكيف معها .. وهذا هو المعنى الحقيقى للتكيف . التكيف هو الاقتراب . التفهم . التقدير . التنازل . التقبل . التعود . الامتزاج والانصهار التدريجى .

.. التكيف هو الإحساس بالآخر وتفهمه وتقبله .

.. التكيف هو تضاؤل الصراع إلى أدنى حد .

.. التكيف هو تحقيق أكثر درجات الاقتراب .

● التكيف هو تحقيق أكثر درجات الاقتراب .

● التكيف هو الرضا . ليس الرضا عن تسليم واستسلام ولكنه الرضا عن قناعة واقتناع . الرضا عن حب .

● وكذلك الشخصية « الانطوائية » قد تتسبب فى البداية فى بعض الصعوبات والصراعات وعدم التكيف . ولكن تدريجياً يحدث التكيف بمعناه الإيجابى الجميل الودود . الشخصية « الانطوائية » تميل إلى العزلة . تجد صعوبة فى الاختلاط بالناس . غير اجتماعية . وأيضاً عاجزة عن التعبير عن مشاعرها وعواطفها وانفعالاتها . ولكنها شخصية قادرة على الحب والعطاء والإخلاص . شخصية بعيدة عن الشر والعدوان . وهى قد تتغير تدريجياً ولكن هذا يحتاج لوقت طويل . والحياة معها عن قرب وفى إطار الزواج ممكن بحد

أدنى من الصعوبات والصراعات . فهى شخصية مسالمة لا تقوى على العداوة المستمرة والتشاجر والتشاحن .

• والشخصية « الانبساطية » هى عكس الشخصية الانطوائية . وهى شخصية تميل إلى الاختلاط وحب الناس والتفاعل المستمر معهم .. تسيطر عليها روح البساطة والمرح والتسامح والدعابة . وهى أيضاً شخصية قادرة على الحب والعطاء والمودة . شخصية ليست عدوانية بل تسيطر عليها نزعات الخير . وبالتالى فالحياة معها ممكنة والتكيف معها سهل وسريع . وقدراتها هى ذاتها على التكيف فائقة . قد تتسبب فى بعض الصعوبات فى البداية وخاصة إذا كان الطرف الآخر يميل إلى التحفظ أو إذا كان صاحب شخصية « انطوائية » ولكن سرعان ما يحدث التكيف لأن الأساسيات موجودة وهى القدرة على الحب والعطاء والخير .

.. والصعوبات والصراعات تنشأ لوجود اختلافات واضحة فى سمات الشخصية .. وخاصة إذا كانت هذه السمات واضحة ومؤكدة وبارزة وتشكل الأساس فى السلوك وفى أسلوب الحياة . ولكنها أبداً لا تتسبب فى نزاعات مريرة وصراعات دامية ومستمرة ولا تتسبب فى تباعد نفسى .. وأبداً لا تكون سبباً فى انفصال وطلاق .

.. بل من الصحى ومن الطبيعى بل ومطلوب أن يكون

هناك اختلافات وتباين . ليس مطلوباً أن يكون هناك تشابه وتطابق .

.. فالزواج أن يلتقى الإنسان بنصفه المكمل . وهذا النصف ليس من الضرورى أن يكون متطابقاً ومتشابها . بل مطلوب أن يكون مختلفاً لكى يكون مكملاً . وهو ليس تكميلاً كمياً بمعنى إضافة نصف إلى نصف ليصبحا واحداً صحيحاً . بل هو مكمل باختلافه . لو كان متطابقاً لما أصبح مكملاً ولما أصبح مطلوباً ومرغوباً .

وهو أمر قريب الشبه من الموقف حين تلتقى البويضة بالحيوان المنوى . فخلايا البويضة تحتوى على جينات تحمل الصفات الوراثية . وكذلك الحيوان المنوى يحتوى على جينات تحمل صفات وراثية أخرى . ليس من الضرورى أن تتطابق هذه الجينات بما تحمله من صفات وراثية .. إن الطفل يرث من أمه صفات معينة ويرث من أبيه أو من شجرة أبيه صفات أخرى . وبذلك يكون التنوع . وهذا هو ما يحدث حين يلتقى رجل بامرأة ويتحابان ويتزوجان .. إن تنوع سمات شخصية كل منهما واختلافه عن شخصية الآخر يخلق ترابطاً ووحدة من نوع مختلف . نوع جديد . نوع مثير . نوع مدهش . وهكذا تصبح حياتهما بعد ذلك . متنوعة . متجددة . مثيرة . مدهشة . لأن كلا منهما مختلف . وفى الزواج رغم أنه التصاق والتحام وذوبان وتوحد إلا أن كل

طرف يحتفظ بتفرده . بكيانه . بشخصيته . إن الشخصية لا تذوب ولا تنمحى عن طريق الزواج . بل العكس . إن الشخصية تتأكد ويزداد تفردها وتميزها عن طريق الزواج لأنها وجدت الذى يحبها ويقدرها ويعتز بها ويتفاعل معها باحترام .

وهنا تبرز ملكات هذه الشخصية وإبداعها ومواهبها وإضافاتها للحياة . إن الإنسان يولد مرة أخرى حين يتزوج . إنه الميلاد الذى تكتمل فيه شخصيته وتتأكد سماتها وتجد الأرضية المناسبة التى تبرز عليها .

.. إنه اختلاف فى السمات . ولكنه تطابق فى الجوهر . جوهر الخير .. فالشر لا يجتمع مع الخير أبداً فى علاقة زواج . إنه تطابق فى القدرة على الحب . فالحب لا يجتمع أبداً مع الجمود الوجدانى فى علاقة زواج . إنه تطابق فى الرغبة فى العطاء . فالعطاء لا يجتمع مع الأنانية والبخل فى علاقة زواج . إنه تطابق فى التواضع . فالتواضع لا يجتمع مع النرجسية فى علاقة زواج . هذا هو تطابق الجوهر المطلوب فى علاقة الزواج .

.. والقدرة على معرفة الجوهر تتحقق فى علاقة الحب . وأيضاً المعرفة القلبية . الحدس . الإلهام . هذه قدرة خاصة اختص بها الله الإنسان . وهى القدرة على الإحساس بإنسان آخر ومعرفة جوهره والنفاذ إلى داخله .

.. وحين يتم التعرف على الجوهر يحدث القبول . أى الطمأنينة والأمان والرغبة فى الحياة مع هذا الإنسان . الرغبة فى التسليم له . إذا اطلعت على الجوهر الخيّر لإنسان فأنت تسلم له نفسك وأنت مغمض العينين . وتشعر بيقين أنه سيكون الإنسان الأوحد فى حياتك وستكون الإنسان الأوحد فى حياته وستعيشان معاً وأن حياتكما ستكون مستقرة ثابتة ، مستمرة وخالدة . وأن لديكما القدرة على مواجهة الصعاب والمشكلات وحل الصراعات التى من الممكن أن تنشأ بينكما للاختلافات البينة فى سمات شخصية كل منكما . وبالتالى من الممكن أن يحدث التكيف بينكما بسهولة .

.. الاختلاف فى سمات الشخصية مطلوب . ولكن لابد أن يكون هناك تطابق فى الجوهر .

□ □ □

.. ولذلك لابد أن نتوقع بعض المواجهات الحادة والساخنة فى بداية الحياة الزوجية . لابد أن نتوقع بعض الصراعات حتى بين الذين تزوجوا بعد عشق طويل .

.. وهذه الصراعات سببها أن كل إنسان كان له أسلوب حياة . لأنه فى البداية كان واحداً وهو الآن اثنان . لأنه فى البداية كانت له حياة مستقلة والآن له حياة مشتركة . لأنه فى البداية لم يكن مسئولاً وهو الآن أصبح مسئولاً ومشاركاً

ومتعاوناً . فلكل إنسان أسلوب حياة . طريقة . شكل . رؤية . فلسفة . مفهوم . عادات . ميراث . اهتمامات . رصيد ذكريات . آلام وأفراح .

.. لابد أن يحدث اصطدام بين أسلوبى حياة مختلفين . الآن نحن نعيش الواقع . الاصطدام الذى يحدث بين العشاق هو مثل الاصطدام الذى يحدث فى الأحلام والذى لا ينتج عنه أى تأثير . أما الاصطدام الذى يحدث بعد الزواج فهو اصطدام حقيقى . ولابد أن يُحدث أثراً . وهو أثر مطلوب . لأنه ينبهنا إلى ضرورة التكيف . ضرورة أن نجد حلاً . ضرورة أن نوحد أسلوب حياتنا إلى الحد الأقصى الممكن . ضرورة أن يحدث التكيف دون إلغاء للكيان والشخصية لكل طرف . ضرورة أن يحدث الذوبان مع الاحتفاظ بالخصائص الشخصية وعدم الفناء والضياع فى ظل الوحدة الجديدة . ضرورة أن أشعر بأننى اثنان ولست واحداً .

.. هنا تأتى أهمية تطابق الجوهر . إنه يساعد على التكيف . جوهر الحب والعطاء والخير .. ومن يمتلك هذا الجوهر ، ومن هو واثق أن هذا هو نفس جوهر رفيقه فإنه سيكون قادراً على أقصى درجات التكيف .

□ □ □

.. ولهذا فالشخصيات الصعبة التى تحدثنا عنها فى البداية تفتقد إلى هذا الجوهر . ولهذا فالتكيف معها صعب . إن لم يكن مستحيلاً فى بعض الأحيان .

.. ما هى الأسباب الأخرى لعدم القدرة على التكيف . ؟

المـرض العقلـى والـزواج

يتصور البعض أن المرض العقلى يسبب إعاقة كاملة للاستمرار فى حياة زوجية سعيدة ومستقرة . ولكن هذا غير حقيقى . وخاصة بعد وجود الإمكانيات العلاجية الهائلة للسيطرة على المرض ويصبح المريض فى حالة أقرب إلى الطبيعى ويستطيع أن يزاول حياته بصورة شبه طبيعية .. ومن منا كامل ؟ ! ومن منا طبيعى بنسبة ١٠٠٪ ؟ ! ليس مهماً كم ونوع الاضطراب العقلى الموجود أو المتبقى ولكن المهم هو هل من الممكن أن يحدث تكيف فى وجود هذا الاضطراب ؟ ! بعض الأزواج قادرون على أن يكيفوا حياتهم ويسعدوا بها فى ظل وجود اضطراب أو خلل فى الصحة سواء إذا كان خللاً نفسياً أو عقلياً أو خللاً جسدياً .

.. المرض بشتى صوره لا يعوق استقرار واستمرار وسعادة علاقة زوجية إذا استطاع الزوجان أن يكيفا حياتهما

فى ظل وجود هذا المرض . والأمر يختلف من حالة إلى حالة . يختلف من إنسان لإنسان حسب احتياجات هذا الإنسان ومتطلباته وأولوياته فى حياته .. حسب مفهومه عن الزواج واحتياجاته من هذا الزواج . حسب مفهومه عن الإنسان ومفهومه عن العلاقات الإنسانية وما هى الاحتياجات والإشباعات التى يريدها من هذا الإنسان ومن هذه العلاقة .

.. كل إنسان أوجده الله من حقه الحياة . وكل إنسان له قلب ووجدان من حقه الحب . وكل إنسان قادر على التفاعل الإنسانى من حقه الزواج .

.. وفى الزواج الحقيقى لا يبحث الإنسان عن الأفضل ولكن يبحث عن الأحب إلى قلبه والأقرب إلى عقله . فكل إنسان هناك من يفضله . فالصحيح هناك من هو أكثر منه صحة . والشاب هناك من هو أكثر منه شباباً . والقوى هناك من هو أكثر منه قوة . والجميل هناك من هو أكثر منه جمالاً . والثرى هناك من هو أكثر منه ثراء . وهكذا ..

.. وهكذا إلى مالا نهاية .

.. والحب هو اختيار إرادى . وكذلك الزواج .

.. ولذلك قد نعجب حين نرى إنساناً متكاملاً صحياً يختار إنسانا آخر به عجز .. وإذا كنا نفهم معنى الحياة ومعنى الإنسان ومعنى العلاقة الإنسانية ومعنى الحب و معنى

الزواج فلا يجب أن نعجب . فهذا العاجز به من مواطن القوة والجمال ما ليس موجوداً فى أى إنسان آخر . هكذا يراه ويشعر به ذلك الإنسان الصحيح السليم صحياً الذى اختاره حبيباً وشريكاً لحياته . فالحب هو اطلاع على الجوهر . والجوهر فى الحب هو الحب والعطاء والخير .. وتلك مصادر الطمأنينة فى اختيار شريك الحياة . وتلك مواطن الجمال الحقيقية .

□ □ □

.. والمرض قد يبدأ بعد الزواج وليس قبله . ومن الأمراض التى تسبب اضطراباً شديداً للحياة الزوجية مرض الغيرة المرضية والذى يصل فيه الشك إلى حد اليقين بأن الخيانة الجنسية قد وقعت فعلاً . هكذا يعتقد الزوج فى زوجته أو تعتقد الزوجة فى زوجها . والمرض عبارة عن فكرة خاطئة ليس لها أساس من الصحة تسيطر على عقل المريض وتجعله يؤمن إيماناً راسخاً بأن شريك حياته يخونه . وشريك حياته بالقطع برىء من كل هذه الاتهامات . هنا يتألم الشريك المتهم ولا يدرى ماذا يفعل . والشريك المريض لا يريد أن يتزحزح عن أفكاره ويؤذى ويؤلم ويجرح شريكه المتهم البرىء .

.. والأمر فى هذه الحالة يحتاج إلى حكمة وصبر وتحمل وخاصة إذا كان هناك حب . وعلاج مثل هذه الحالات ممكن ولكن يشترط صبر وتعاون وحب الطرف المتهم .

.. وحتى تأتى الضلالات والأفكار الخاطئة فى صور أخرى مثل الشعور بالاضطهاد مما يجعل الحياة صعبة ومليئة بالمشاحنات وخاصة إذا كان الاتهام موجهاً إلى شريك الحياة ..

.. والاضطرابات الوجدانية قد تأتى فى صورة متكررة . نوبات من الاكتئاب . أو نوبات من الهوس . أو يتبادل الهوس مع الاكتئاب .

.. والاكتئاب يخلق جوا من القتامة على الحياة الزوجية والحياة بشكل عام . فهو الانطواء والعزلة والحزن واليأس .

أما الهوس فهو قد يسبب مشاكل أسوأ . فالهوس هو الأرق والحركة الدائمة والنشاط الزائد والإنفاق السفهى وربما التطاول والعنف . ولحسن الحظ هذه الأمراض من الممكن التحكم فيها تحكماً كاملاً . ومن الممكن الوقاية منها بحيث لا تتكرر مرة أخرى فى نسبة كبيرة من الحالات . وتصبح الحياة بعد ذلك مع مريض الاكتئاب أو مريض الهوس ممكنة وعادية وبدون أية صعوبات .

إن الأمراض أخف وطأة من اضطرابات الشخصية فبعض الأمراض من الممكن شفاؤها وفى البعض الآخر من الممكن التحكم فى الأعراض . وكثير من المرضى حياتهم الزوجية مستمرة وموفقة . أما الصعب والذى لا يمكن علاجه فهى اضطرابات الشخصية . فلا علاج للشخصية « السيكوباتية » أو « الهستيرية » أو « النرجسية » أو « الاضطهادية » . فهم ليسوا مرضى . وهم فى نفس الوقت ليسوا طبيعيين . وهم يجعلون الحياة صعبة فعلاً . والتكيف معهم شبه مستحيل .

.. والمريض قد يضطر لتعاطى العلاج لفترات طويلة . وربما طوال حياته . وهنا يأتى دور شريك الحياة فى التعاون مع الطبيب لمساعدة المريض على الانتظام فى العلاج وخاصة إذا كان علاجاً وقائياً يمنع تكرار حدوث المرض .

.. هناك أزواج رائعون وزوجات رائعات قلوبهم عامرة بالحب والخير والعطاء . يعيشون مع زوجات وأزواج مرضى . ولكن بفضل الخير الذى يملؤهم وبفضل الحب الذى يعمر قلوبهم وبفضل قدراتهم الفائقة على العطاء فإن حياتهم الزوجية مستقرة ومستمرة وسعيدة . ربما أسعد كثيراً ممن يعيشون مع أزواج وزوجات أصحاء .

□ □ □

المـرض الخفــى والـزواج

نحار أحياناً فى بعض الناس الذين لا يعانون من أى مرض نفسى أو عقلى أو أى اضطراب فى الشخصية ولكننا نجد صعوبة فى التعامل معهم ، أو نجد صعوبة فى تفسير سلوكهم الغريب . ويستعصى علينا فهم أسلوبهم فى التفكير وأسلوبهم فى الحياة وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين . ويعجز أى منطق عن تحليل ما يصدر عنهم ، وتعجز أى نظرية عن الوصول إلى حقيقة هؤلاء الناس .

.. هل هم أسوياء .. ؟ وهل السوية تعنى فقط الخلو من المرض .. ؟ أم هو التنوع الطبيعى فى الحياة ووجود أشكال وألوان وأصناف متعددة من البشر مختلفين ومتنوعين ؟ وهل هو التنوع الطبيعى أم التنوع الذى يقع بدرجات مختلفة على المنحنى أو المتصل بين نقطتى السوية الكاملة والجنون الكامل .. ؟ وبذلك يكون هؤلاء الناس ليسوا أسوياء وليسوا مرضى . أو ليسوا مرضى بصورة ظاهرة أو هم الأسوياء المرضى أو المرضى الأسوياء .

.. هم ليسوا أسوياء . وأيضاً لا توجد لديهم أى أعراض مرضية ظاهرة . وهم بعيدون تماماً عن المرضى النفسيين لأنهم غير مستبصرين أى لا يدركون غرابة سلوكهم وغرابة

طريقتهم فى التفكير . لذا فالأرجح أنهم يشكلون حلقة وسطى بين مضطربى الشخصية والمرضى العقليين .

.. أم هل هو المرض العقلى بصورة محورة ؟ هل هو الجنون الخفى أو المتوارى ؟ هل هؤلاء الناس يحملون جينات غير طبيعية مثل جينات المرض العقلى ولكن بصورة مخففة مما لم يتح للأعراض أن تظهر فى صورة واضحة .. ؟

.. ربما يكون هذا الرأى الأخير هو الرأى الأرجح لأن هذه المجموعة من الناس نصادفها من بين عائلات المرضى العقليين . نجد غرابة فى أسرة مريض الفصام أو مريض الهوس أو مريض الاكتئاب العقلى . نشعر بأنهم غير طبيعيين ولكن لا نستطيع أن نقول كيف ولماذا ؟ لا نستطيع أن نمسك عليهم شيئاً . لا نستطيع أن نشير إلى عرض بعينه . لا نستطيع إطلاقاً أن ندينهم بأنهم مرضى .

.. علاقاتهم ببعضهم البعض غير طبيعية وأيضاً علاقتهم بالمريض وعلاقتهم بالحياة وبالناس .

● فمثلاً هذا الإنسان لا يبدو عليه أى مظاهر للمرض باستعراض جزء من حياته أو بمعايشته أو مراقبته فى مرحلة ما . ولكن به نقصا شديدا فى درجة الاستجابة الوجدانية يتبدى فى عدم اهتمامه بمصيبة أصابت شقيقه مثلاً

أو كارثة ألمت بجاره أو حادثة مؤلمة تعرضت لها زوجته . نجد فى مثل هذه المواقف الصعبة استجابة محدودة ولا تنم عن أى تعاطف أو حزن أو استعداد مخلص للعطاء ويبدو الأمر وكأنه لا يعنيه كثيراً .

وهناك أسرة بأكملها أو عائلة كبيرة بمعظم أفرادها لديها هذا التجمد فى العواطف . ومن الصعب طبعاً أن نقول إن أفراد هذه الأسرة أو هذه العائلة الكبيرة مرضى . وإذا تابعت علاقات هذه الأسرة انزعجت لهذه البرودة القاسية التى تميز علاقاتهم بعضهم ببعض وكأنه لا تربطهم ببعض أى صلات . وكل منصرف إلى حاله الخاص وكأنهم الغرباء فى مكان واحد يجمعهم بأجسادهم فقط .

• والتراشق بالسباب والذى يحمل فى بعض الأحيان معانى جنسية منتشر بين بعض الأسر . قد يكون هذا متوقعاً لدى مستويات اجتماعية معينة ولكن يكون أمراً غريباً إذا كانت أسرة تتمتع بمستوى اجتماعى ثقافى متميز .

• والأفكار الغريبة التى تقترب من الضلالات المرضية قد تسيطر ليس على شخص واحد من أفراد الأسرة بل على معظمهم ، فيتخذون موقفاً خاصاً من الآخرين مبنيا على الشك وعدم الثقة وافتراض سوء النية والتوقع السيىء .

وينغلقون على أنفسهم . يقطعون معظم صلاتهم بالعالم الخارجى .

• وبعض الأفكار والمفاهيم السائدة فى مستوى اجتماعى معين قد تطبع أفكار أسرة كاملة ذات مستوى اجتماعى متميز . فيؤمن مثلاً جميع أفراد الأسرة بأن الأشباح تزور مسكنهم أو أن الجن له تأثير مباشر عليهم ويتدخل فى حياتهم . أو أنهم يقعون تحت تأثير السحر بفعل أعداء الأسرة . وإذا كان ذلك يمكن إرجاعه لعوامل اجتماعية فإن القلق الزائد (الموروث) قد يكون سمة واضحة لدى أسرة بأكملها حيث تصبح حياتهم جميعاً مشحونة بالتوتر والخوف والهواجس والوساوس والمبالغة والحساسية الزائدة .

• وقد تصادف أسرة جميع بناتها لم يتزوجن رغم توافر كل الإمكانيات والظروف التى تتيح الزواج الطبيعى . وقد تصادف أسرة جميع أبنائها يواجهون صعوبات فى حياتهم الزوجية وإذا سألت زوجات هؤلاء الأبناء وجدت أن شكواهن تكاد تكون واحدة أو متشابهة .

• وقد تجد الغرور الزائد أو البخل أو النرجسية منتشرة بين أكثر من فرد من أفراد الأسرة الواحدة . وأيضاً السلوك العدوانى العدائى قد يكون سمة أسرية وليس على مستوى فرد واحد فقط .

ومن ملاحظة بعض الناس على مدى طويل والذين يتميزون بالغرور والتعالى والتعامل بأسلوب غير لائق مع الآخرين نجد أن بعضهم يقع فريسة المرض العقلى ، وكأن الغرور أو العدوانية كانت تخفى المرض العقلى أو كانت هى بعض مظاهره المبكرة .

إن بعض الناس الذين يتسمون بالغرابة وتشعر معهم بعدم الارتياح وخاصة فى جمودهم الوجدانى وعدم القدرة على الاقتراب منهم أو فى تعاليهم أو فى عزلتهم . هؤلاء الناس يصاب بعضهم بالمرض العقلى عند التعرض لضغوط معينة أو فى مرحلة معينة من العمر .

• وأحد أوجه الغرابة عند بعض الناس هو سيطرة فكرة ومشاعر الانتقام بصورة بشعة إذا شعر بإحباط أو تعرض لفشل . وقد يكون هو المسئول عن هذا الفشل ولكنه يتصور أن الآخرين يجب أن يدفعوا الثمن . إن الانتقام بقسوة يعنى خللاً خطيراً فى الشخصية أو العقل أو أن هناك مرضاً خفياً أو مرضاً على وشك الظهور .

• واتخاذ القرارات المفاجئة غير المتوقعة والغريبة قد يكون مؤشراً لاضطراب خفى كالطلاق أو الزواج أو الهجرة أو تغيير طبيعة العمل أو شراء أو بيع ، أو مقاطعة صديق أو حبيب أو زوج لأسباب غير واضحة تماماً . قرار يجد

الآخرون صعوبة فى فهم أسبابه ودوافعه وفى الغالب يكون قراراً خاطئاً أو ظالماً يتسبب فى مشاكل خطيرة تعود على صاحب القرار وعلى القريبين منه .

• وعموماً فإن الذين لديهم الاستعداد للمرض العقلى يميلون إلى الارتباط بالأفكار الغريبة والشاذة والغامضة . ويكون لديهم قدر كبير من التعالى والعدوانية والتحفز والحساسية والشعور بالاضطهاد أو الثقة الزائدة بالنفس والتى تخفى وراءها بناءً نفسياً مخلخلاً . أناس نشعر بمسافة سحيقة تفصلنا عنهم فهم الغرباء أو نحن الغرباء . ليسوا منفصلين عن الواقع مثل المرضى ولكنهم غير أسوياء .. يتسببون فى تعاسة وشقاء للقريبين منهم ولكن لا أحد يستطيع دفعهم للعلاج لأن الطب النفسى ذاته مازال عاجزاً عن تفسير هذه الحالات التى لا تعانى مرضاً بأعراض محددة ولكنها تسلك أحياناً أو فى كل الوقت بطريقة أشد غرابة وشذوذاً من سلوك المرضى . إنهم أناس لديهم ثقوب فى العقل ولكنها مسدودة بقش .

لماذا يستمرون رغم المعاناة ؟ !

ولولا أزواج وزوجات أوفياء وطيبون لما استمرت حياة زوجية لهؤلاء الذين يعانون من مثل هذه الاضطرابات .

فالحياة الزوجية قد تستمر بفضل طرف واحد يتحمل العبء كله . يتحمل الألم . يتحمل عدم الإشباع . يتحمل غرابة وشذوذ الطرف الآخر . ولكنها وبكل قطع تكون حياة زوجية غير سعيدة . أو تكون سعادة واهية متقطعة متكسرة قليلة شحيحة مثل شمس القطب الجليدى .

.. ولكن لماذا يتحمل طرف واحد كل هذه الأعباء ؟ الأسباب كثيرة ومتعددة ..

• السبب الأول والأغرب هو أن هناك أناسا لا يتصورون الطلاق . لا يتصورون الابتعاد والانفصال عن شخص عاشروه وعاشوا معه مهما كان هذا الشخص سيئاً . فالحياة معه بمساوئه أفضل من حياة الطلاق . فكرة الطلاق أساساً مرفوضة وهؤلاء الناس لديهم بناء نفسى خاص . فهم إذا اعتادوا شيئا لا يستطيعون الانفصال عنه . إن لديهم مخاوف الانفصال . الانفصال عمن اعتادوا عليهم يفزعهم . وخاصة إذا اعتادوا على إنسان معين . حتى السوء يعتادون عليه ولا يتصورون الحياة بدونه . وسنجد أن هناك عائلات لا توجد بها حالة طلاق واحدة مهما تتبعنا شجرة العائلة لأبعد فروعها . وعلى النقيض سنجد عائلات أخرى تكثر فيها حالات الطلاق . الطلاق لديها أمر سهل ومقدور عليه نفسياً . إذن الطلاق يحتاج لقدرة نفسية خاصة .

يحتاج لبناء نفسى خاص . الطلاق يحتاج إلى استقلالية نفسية . يحتاج إلى قدرة على الاستغناء بسهولة وبدون ألم شديد عن إنسان عاشرناه طالما أن الحياة معه صعبة . يحتاج إلى إنسان قوى من الداخل . عملى . موضوعى . يحتاج إلى إنسان ليس لديه الاستعداد لأن يتحمل آلاما لا مبرر لها . أما الخوف من الطلاق فأساسه الاعتمادية النفسية وعدم القدرة على التغيير أو الخوف الذى يصل إلى حد الذعر من فكرة التغيير والحياة من جديد مع إنسان جديد . هناك أناس لا يتصورون استبدال زوج بزوج . إنهم لا يتصورون الحياة إلا مع زوج واحد .

وهناك أناس أيضاً لا يتصورون الحياة بدون رفيق حتى وإن كان هذا الرفيق سيئاً . لا يتصورون حياة الطلاق ، حياة الوحدة . رفيق سيىء خير من الوحدة . هذا هو منطقهم أو بالأصح هذه هى قدراتهم النفسية .

.. ولذلك فمهما كان الطرف الآخر مزعجاً مؤلماً معذباً غريباً فإنهم يتحملون ويتحملون . ويستمرون فى حياة زوجية غريبة وصعبة .

● كما أن هناك رجلا لا يقبل أن يحمل لقب مطلق ، وهناك امرأة لا ترضى أن تحمل لقب مطلقة . وهذا هو السبب الثانى للاستمرار رغم المعاناة . وكأن الطلاق عار وفضيحة

وإدانة . هكذا يرى بعض الناس الطلاق . يرونه شيئا فظيعا وقبيحا وأن الإنسان الطبيعى يجب أن يبقى بعيداً ما أمكنه عن الطلاق وأن يتحمل أى شىء فى الحياة إلا أن يُطلق . والحياة مهما كانت معذبة ومؤلمة مع شخص ما فإنها تكون أفضل من أن يصبح الإنسان مطلقاً .

• والسبب الثالث للاستمرار ليس مستبعداً وليس غريباً . فقد يكون هناك حب . ولأن الحب نفسه أمره غريب . سر من الأسرار . فنحن لا نستطيع أن نعرف على وجه التحديد سر الارتباط والتشبث بإنسان غريب أو متعب والتعلق به وعدم القدرة على الابتعاد عنه بل والمعاناة فى الابتعاد عنه رغم الألم فى ظل الحياة معه . والحب هو الارتباط من الداخل . الاطلاع على كل خبايا النفس والشخصية . وقد تكون هناك عيوب واضحة ولكن رفيقه وشريكه يرى أشياء أخرى . يرى الإيجابيات فى هذه النفس . يرى ويعرف إمكانياتها الحقيقية . وقد تكون إمكانيات مستقبلية . يرى أن هناك فرصة أمام هذا الإنسان ليكون أفضل . إن الإنسان حين يحب يتعلق بشىء ما . بقيمة ما . شىء يراه هو وحده فى الطرف الآخر . وهو يحبه فى الماضى وفى المستقبل حتى وإن كان الحاضر متعباً مزعجاً ليس به خير .. وهو حين أحبه فى الماضى فربما كانت الصورة مختلفة . كانت الصورة إيجابية وطيبة وبعد ذلك

حدث تغيير . والتغير ربما بسبب مرض أو ظروف قهرية . ولكنه (أى الطرف الذى يتحمل) مازال يحتفظ بصورة رفيقه فى الماضى . إنه أحب هذه الصورة وعاش معها زمناً . حقيقة أن هناك تغييرا كاملا الآن . ولكنه مازال يعشق الصورة القديمة . مازال يعشق صاحبها . ولا يستطيع أن يتخلى عنه . وربما يكون لديه أمل فى أن تغييراً إيجابياً سيحدث فى المستقبل . ولذلك تستمر الحياة . حياة بين طرف متعب شاذ غريب مؤلم جارح وطرف آخر يتحمل لأنه يحب .

• وسبب رابع للاستمرار ربما يكون مرتبطاً إلى حد ما بالسبب الثالث وهو أن هذه الحياة الصعبة المتعبة المؤلمة وبرغم صعوبتها وتعبها وآلامها إلا أنها فى جوانب أخرى تحقق إشباعات معينة . فهذا الطرف السيىء قادر على أن يلبى احتياجات معينة . احتياجات مهمة . احتياجات أساسية . احتياجات حيوية على وجه الخصوص بالنسبة للطرف الآخر المفترض أنه الطرف الضحية أو الطرف الذى يتحمل . فلكل إنسان ما احتياجات معينة يتم ترتيبها حسب إلحاحها وأهميتها وحيويتها بالنسبة له وليس حسب ضروريتها وأهميتها العامة بالنسبة لبقية الناس . فإذا تم تلبية الاحتياج رقم (١) فإن عدم تلبية بقية الاحتياجات أو التلبية الجزئية لها لا يشكل مشكلة كبيرة لصاحبها ولا تشكل مانعاً أو عائقاً لاستمرار الحياة . المهم أن يتحقق الإشباع

الكامل للرغبة أو الاحتياج رقم (١) إذا نجح الطرف المتعب المزعج الشاذ الغريب فى تلبية الاحتياج رقم (١) إلى حد الإشباع الكامل لدى الطرف الآخر فإن هذا الطرف الآخر سيضحى بعدم تلبية احتياجاته الأخرى أو التلبية الجزئية لها وسيستمر . هذه الاحتياجات قد تكون جنسية أو مادية أو اجتماعية أو سلطوية . قد تكون احتياجات لها شكل أو مضمون مادى ولكنها تحقق إرضاء وإشباعاً نفسياً . وهذا يختلف عن الذى يستمر فى الحياة لتحقيق مصلحة معينة يكون هو واعياً ومخططاً لها . إننا نقصد هنا الإرضاء أو الإشباع النفسى الذى يتحقق من خلال تلبية احتياج معين حتى وإن كان احتياجاً مادياً أو احتياجاً جسدياً .

● أما السبب الخامس وهو يختلف تماماً عن السبب الرابع وهو أن الطرف الذى يتحمل فإنه يتحمل لأن هذا الزواج يحقق له مصلحة معينة . مصلحة هو سعى لها وتزوج من أجلها وسيستمر فى هذا الزواج طالما أنه يحقق مصلحته الذى سعى وخطط لها . وفى الغالب المصلحة تكون مادية بحتة . مصلحة اقتصادية . ولكن ليس الاقتصاد الذى يكفل الحد الأدنى من المعيشة . ولكنه اقتصاد الثراء والطموح المادى غير المحدود . والذى ربما يكون مرتبطاً أيضاً بالسلطة أو الطموح الاجتماعى والانتقال إلى طبقة اجتماعية أعلى فإذا توقف الطرف المتعب عن تحقيق هذه

المصلحة فإن الطرف الذى يبدو وكأنه الطرف الذى يتحمل المعاناة ينسحب من هذه الحياة . ويكون من السهل عليه حينئذ أن يطلب الطلاق ويغادر حيث تكون مصلحته فى مكان آخر مع إنسان آخر .

• السبب السادس للاستمرار هو أن هذا الطرف الذى يبدو وكأنه طرف مضح وأنه يتحمل حياة مؤلمة صعبة مع شريك مزعج فإنه هو ذاته يستعذب هذا الألم . أى أنه يعانى من المازوخية . وهى حالة نفسية أو ربما هى نمط من الشخصيات الذى يستعذب الألم . يعشق المهانة . يزعجه الاحترام . ترضيه الحياة المضطربة المقلقة غير المستقرة . يشبعه الذل والاحتقار وسوء المعاملة والنبذ والإهمال . إن كل هذا يستثيره . يحركه . يبعث فى نفسه وربما فى جسده النشوى واللذة . فإذا جعلناه يعيش حياة محترمة كريمة مستقرة هادئة فإنه يمل ويسأم ويضجر وينفر ويهرب .

.. إذن هذه الحياة الصعبة المؤلمة ترضيه وتشبعه . والغريب أنه يشكو ويرفع صوته بالشكوى . ولكنها شكوى باللسان . شكوى بعقله الواعى . وإنما عقله الباطن يسعد وينتشى ويتلذذ بهذه الحياة .

الطرف المازوخى يستمر فى حياة زوجية كلها آلام وتعاسة وعذاب . إن هذا يرضيه نفسياً وجسدياً .

• السبب السابع للاستمرار قد يكون خفياً على المستوى اللا شعورى بالنسبة للطرف المضحى والذى يبدو من على السطح أنه الطرف الذى يتحمل تلك الحياة الصعبة مع هذا الإنسان السيىء الغريب الشاذ . هذا الطرف المضحى فى أعماقه أو فى عقله الباطن يدرك أنه لن ينجح أيضاً مع أى إنسان آخر إذا تبدلت الظروف إلى الأفضل والأحسن . يدرك بحسه الباطن أنه هو أيضاً إنسان غريب وشاذ ومختلف وأنه هو ذاته إنسان صعب . إذن فطالما أن الحياة مستمرة مع هذا الإنسان المتعب فلتستمر لأنها لن تكون أفضل مع إنسان آخر . إن كل واحد منهما على حدة لا يصلح لحياة زوجية ناجحة . إذن يكفى أن هناك زواجا وأسرة وحياة مستمرة . هذه هى فرصة ليستمر ولا داعى لتجربة جديدة لأن التجربة الجديدة حتماً ستفشل . هو غريب وهى غريبة . هو شاذ وهى شاذة . هو لا يصلح لزواج وهى لا تصلح لزواج . وهذا كله موجود فى اللاشعور أى فى العقل الباطن .

• وإذا جئنا للسبب السابع للاستمرار فإنه قريب الشبه من السبب السادس ولكنه على مستوى الشعور العقلى الواعى . وذلك لأن الطرف المضحى أو هكذا يبدو أنه يتحمل ويضحى بحياته مع إنسان سيىء هو فى ذاته إنسان سيىء . وهو يعرف عن نفسه أنه سيىء وأنه مزعج وأنه أيضاً

مصدر لإزعاج وآلام وجراح . وأنه لا يصلح لزواج . ولولا أن حظه أوقعه فى إنسان سيىء لما استمر الزواج . وإذا كان قد وفق لإنسان طيب لما استمر الزواج . إذن هو زواج السيىء بالسيىء . وزواج السيىء بالسيىء من الممكن أن يستمر مثلما يستمر زواج الطيب بالطيب . لإن الزواج الذى من الصعب أن يستمر هو زواج الطيب بالسيىء . ولقد أوضح القرآن الكريم ذلك بجلاء فى النص البليغ : (الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات) .

• السبب الثامن للاستمرار هو أن تكيفاً فعلياً يكون قد حدث . وتلك قدرة خاصة أعطاها الخالق عز وجل لبعض الناس . قدرة فائقة لتحمل الحياة الصعبة والتكيف عليها وإحداث تغيير فعلى فى النفس والمثابرة والاستمرار فى بذل جهد إيجابى للتغيير من الطرف الآخر للأفضل وتغيير الحياة بشكل عام . إنها نفس القدرة التى يعطيها الله لبعض الكائنات للتغلب على تقلبات الطبيعة الغادرة . ولولا هذه القدرات الخاصة لهلكت كائنات كثيرة . ولولا هذه القدرات الخاصة لهُدمت بيوت كثيرة وخربت . والتكيف معناه القبول عن رضا والاعتياد والتعود والتغيير من الذات لملاءمة الواقع وأيضاً وبجهد إيجابى الاستمرار فى محاولة تغيير الظروف وتغيير الواقع وتغيير الأشخاص المحيطين لتحقيق أعلى قدر ممكن من الإرضاء والرضا والتوفيق .

• السبب التاسع وهو الأعم . وهو أن هناك ظروفا خاصة تدعو للاستمرار . ظروفا اضطرارية قهرية . أى لا مهرب . أى هذا هو الطريق الوحيد . القدر . المصير . النهاية المحتومة . الحتمية التاريخية أو الحتمية الناشئة من ظروف خاصة جداً تدعو الإنسان لأن يحتمل حياة غير محتملة فيبذل جهداً خارقاً لاحتمالها ويعاونه الله على الصبر والتحمل والاستمرار .

• والسبب العاشر وهو أعم الأعم وجود أولاد . والذين يستمرون فى حياة زوجية صعبة خالية من أى سعادة أو إرضاء فإنهم يتبنون نظرية أن الأولاد حين يَنْشَئُون فى ظل والدين يعيشان معاً أفضل بكثير من حياة الأولاد مع طرف واحد بعد الطلاق حتى وإن كانت الحياة الزوجية يكتنفها تعاسة وشقاء . إنهم يؤمنون بذلك . يؤمنون بحاجة الأطفال إلى بيت متكامل . إنهم أصحاب نظرية البيت المتكامل . والبيت المتكامل هو الذى يحوى أما وأباً يعيشان معاً تحت سقف واحد ، حتى وإن عاش كل منهما فى حجرة منفصلة ، وحتى وإن باعدت بينهما آلاف الأميال المعنوية ، حتى وإن كانا لا يتبادلان كلمة واحدة ، حتى وإن علا صوت شجارهما إلى عنان السماء ، حتى وإن امتلأ هواء البيت كراهية وعداوة . المهم أنهما يعيشان معاً . المهم أن يحتفظ بهما الأولاد معاً . المهم هو البيت المتكامل . هكذا يستمر بعض الأزواج والزوجات رغم قسوة الحياة وجفوتها وجفافها .

• السبب الحادى عشر هو أن الوقت يكون قد فات . الوقت فات للانفصال . والأهم أن الوقت قد فات لبداية حياة جديدة . وحين تصل الزوجة لسن الأربعين فإنها تفكر ألف مرة قبل أن تسعى للطلاق . والرجل أى الزوج حين يصل لسن الخمسين فإنه يفكر ألفى مرة قبل أن يسعى للطلاق .

بداية حياة جديدة مع ضمان حد أدنى للنجاح صعب بعد هذه السن سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل . ولذا يستمران . فلقد استمرا فى أهم سنوات العمر فلماذا لا يستمران لسنوات قليلة باقية من العمر . سنوات تراجع فيها الشباب وسيتراجع أكثر وأكثر بحيث يصبح من الصعب نفسياً وجسدياً البداية من جديد .

البداية الجديدة تحتاج إلى قوة نفسية وتحتاج إلى حد معقول من القوة الجسدية التى تسمح باستمرار زواج جديد . والمشكلة تكمن أكثر فى إمكانية وجود رفيق جديد . أين نجده ؟ وكم يكون عمره ؟ وكيف كانت حياته السابقة ؟ ولماذا يبدأ معنا من جديد ؟ ولماذا لم يوفق هو ذاته فى حياته السابقة ؟

وما هى ضمانات نجاحنا فى حياة جديدة نبدؤها فى هذه السن المتأخرة نسبياً ؟ ولماذا نبدأ من جديد ؟ ما هو الاحتياج الملح لأن تكون هناك حياة زوجية جديدة ؟ عشرات الأسئلة

تلح على الخاطر وتدعو إلى القلق والوسوسة والتردد . ثم فى النهاية الاستسلام وقبول الواقع والاستمرار فى نفس الحياة . فهذا خير من المجازفة والمخاطرة .

● السبب الثانى عشر والأخير هو أن بعض الناس يستهويهم دور الضحية . دور الاستشهاد . دور المجنى عليه . دور المظلوم . دور المغلوب على أمره . ولهذا يستمر .

الاستعداد النفسى للطلاق

.. إذن هذه هى الشخصيات أو الأنماط أو النماذج من الرجال والنساء الذين يستمرون فى حياة زوجية فاشلة . وفاشلة هنا بمعنى أنها لا تحقق سعادة أو إرضاء لكلا الطرفين أو على الأقل لطرف منهما وهو ذلك الطرف الذى يستمر برغم معاناته ..

.. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : وهل يجب ألا يستمر ؟ هل الأصح أن يسعى للطلاق .. ؟ هل الطلاق ضرورة فى مثل هذه الأحوال ؟ وهل الاستمرار هنا له عواقبه الوخيمة بالنسبة للطرف الذى تحمل واستمر وبالنسبة للأطفال ؟ وهل كل حياة زوجية فاشلة يجب أن تنتهى إلى طلاق .. أم أن الزواج أى زواج هو أبدى وخالد ، وأن الطلاق يجب ألا

يحدث إلا حينما يكون الموت أفضل من الاستمرار فى الحياة الزوجية . حينما تترسخ الكراهية فى قلب كل من الزوجين ولا يمكن نزعها أو حينما تقع الخيانة من أحدهما . وأن أى أسباب أخرى لا تعد كافية لحدوث الطلاق مهما كانت مظاهر عدم التكيف .. ؟

.. والذين يتشددون فى الطلاق يبنون وجهة نظرهم على أن الآثار الناتجة عن الطلاق هى آثار وخيمة وثقيلة وتؤدى إلى تعاسة تفوق كل معاناة قبل الطلاق . أى أن المعاناة فى ظل حياة زوجية ليست موفقة توفيقاً كاملاً أقل بكثير ومحتملة عن المعاناة بعد الطلاق .

.. والذين يتساهلون فى الطلاق يبنون وجهة نظرهم على أن الإنسان يعيش مرة واحدة وأنه خلق ليسعد ويتمتع بالحياة وأنه لا معنى لأن يستمر فى علاقة تسبب له ألماً ومعاناة وأنه يجب أن يسعى لكى يبدأ حياة جديدة تجلب له السعادة والإرضاء . وأن عمر الإنسان لا يتسع لأن يبذل جهوداً للإصلاح والتكيف ، فمحاولة التكيف تتطلب وقتاً وجهداً كما أنها مضنية وتتطلب استعداداً فى الشخصية وليس كل إنسان لديه هذا الاستعداد . ولهذا فالإنسان غير السعيد فى حياته الزوجية يجب أن يقرر فوراً وقبل فوات الأوان أن ينهى هذه الحياة وأن يسعى لحياة جديدة . وأصحاب هذا الرأى ينادون دائماً بتسهيل إجراءات الطلاق وأن أى طرف - سواء الرجل

أو المرأة – يطلب الطلاق يجب أن يُلبى طلبه فوراً بدون أن يقدم مبررات مقنعة للطرف الآخر أو للناس أو للهيئة الرسمية التى تنظر فى طلب الطلاق . أى أن الإنسان يجب أن يطمئن إلى أنه يستطيع أن يطلق فى أى وقت بنفس السهولة واليسر الذى يستطيع أن يتزوج بها .

.. إلا أن الأمر فى الحقيقة لا يتوقف على مدى سهولة أو صعوبة الإجراءات والقوانين بل إن الأمر مرتبط بالاستعداد النفسى . هذا هو تقديرى الخاص . وعلى هذا الأساس أستطيع أن أقسم البشر إلى قسمين : قسم يستطيع أن يتحلل بسهولة من أى علاقة إنسانية تجلب عليه المتاعب . وقسم آخر لا يستطيع . ويتردد كثيراً فى الانفصال . سواء أكان انفصالا عن زوج أو صديق أو جار أو مكان أو حتى حيوان أو جماد .

.. النوع الأول وهو الذى يستطيع أن يتخلص بسهولة من أى إنسان لا يوفر له السعادة والإشباع يتميز بأنه يفتقد إمكانيات التكيف والتحمل والصبر والقدرة على بذل جهد من أجل التغيير . كما أنه لا يستطيع تحمل أى ألم . وأنه يسعى دائماً فى الاتجاه الذى يحقق له السعادة الفورية والإرضاء الدائم .

.. كما أنه إنسان لا يأبه كثيراً بالماضى أو الذكريات . ليست لديه ارتباطات بالماضى . وذاكرته ضعيفة . وذكرياته ليس لها تأثير على حاضره أو مستقبله ولا تتدخل فى اتخاذه أى قرار . فهو يعنيه الحاضر . اللحظة . الإحساس المباشر . ولهذا فهو يسقط الماضى فى لحظة . ينمحى من ذاكرته تماماً . يسقط الماضى بأحداثه وبأشخاصه . قدرة فورية على النسيان . نسيان أى إنسان مهما كانت درجة اقترابه منه . كما أنه يتميز بالقدرة على أن يبدأ من جديد . كما أنه يتميز بالجسم . لا يتردد . ولا يندم . ولا يراجع نفسه . ولا يستشير أيضاً . كما أنه لا يعطى قيمة لأى ثوابت فى الحياة . لا توجد لديه أعمدة ارتكاز أساسية وثابتة فى حياته .

كما أنه يتميز بقدرة أخرى مهمة وهى السيطرة على وجدانه . وهى ليست سيطرة بقدر ما أن وجدانه ذاته محدود مما يعطيه المقدرة على عدم الارتباط العميق بأى إنسان . دائماً هناك مسافة .. لا توحد ولا ذوبان . فهو لا يريد لذاته أن تقترب بشدة من أى ذات أخرى . هو يريد لذاته أن تكون بعيدة عن أى تأثيرات عاطفية من أى ذات إنسانية أخرى . لذلك فإن درجة تأثيره قليلة . ودرجة حزنه أخف . حزنه دائماً من على السطح ، وسريع التطاير .

.. وهو حسى مادى أكثر . إدراكه للمعنويات وإيمانه بالروحانيات أقل . واقعى . وعملى . يشده جمال الشكل . يهتم بالخارج أكثر من اهتمامه بالداخل . يدرك الشكل ويستعصى عليه إدراك الجوهر .

.. كما أنه يهتم بنفسه إلى أقصى حد . اهتمامه بمظهره وصحته وراحته . وبالتالى فإن قدراته على العطاء محدودة أو مشروطة بعطاء الآخرين . وأيضاً ليس لديه أى استعداد للتضحية ..

.. هذه كانت السمات النفسية للشخصية القادرة على الانفصال والطلاق بسهولة سواء أكانت الأسباب التى تدعو للطلاق أسبابا جوهرية أو كانت أسبابا بسيطة يمكن علاجها بالصبر والجهد .

.. والسؤال هو من أين تجىء هذه السمات .. هل يكتسبها الإنسان لأنه عاش كطفل مع أب وأم يتمتعان بنفس السمات . أم أن الأمر له علاقة بالوراثة .. ؟ هل يرث الإنسان سمات القدرة على الانفصال . هل هناك جينات يمكن أن نطلق عليها جينات الطلاق ؟ وهل إذا وجدت هذه الجينات فهل نعتبرها جينات غير طبيعية أى جينات مرضية مثل الجينات التى تورث الأمراض وبالتالى تكون الجينات المقابلة وهى الجينات التى تجعل الإنسان يتمسك بزواجه هى الجينات

الطبيعية . وبالتالى يكون الأصل فى الزواج أن يكون خالدا ومستمرا وأن تكون للإنسان المقدرة لحماية زواجه والدفاع عنه والاستمرار فيه وتحمل الأعباء والآلام التى من الممكن أن تنشأ عنه . وأن تكون للإنسان مقدرة التكيف . التكيف على حياة قد تكون صعبة ولكن الإنسان يتقبلها ويتعايش معها ويحاول أن يغيرها فى الاتجاه الإيجابى .

العلماء حاولوا أن يجيبوا على هذا التساؤل . حاولوا أن يثبتوا أن السعادة الزوجية لها علاقة بالجينات الوراثية . فإذا حدث وانفصل زوجان بعد سنوات من الحياة الزوجية المشتركة فإن ابنتهما فى الغالب ستلقى نفس المصير فى المستقبل . وأيضاً ابنهما سيكون لديه نفس الاستعداد للانفصال عن زوجته بسهولة . وبالتالى فإن احتمالات طلاق الزوجة تكون متزايدة عن المعدلات الطبيعية إذا كانت والدتها أو شقيقتها التوأم قد مرت بتجربة زواج فاشل . وأظهرت مثل هذه الدراسات أيضاً أنه إذا كان التوأم متطابقين تماماً (أى من بويضة واحدة) فإن احتمالات حدوث الطلاق الجينى تكون فى أقصى درجاتها ، فإذا حدث وانفصل أحد التوأمين عن شريك حياته فإن الآخر قد يتعرض لنفس الموقف أو نفس المصير بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ .

ولا أحد يعرف كيف تمارس الجينات دورها بالضبط فى التأثير على سلوك وتصرفات البشر فى موضوع مثل

الطلاق . إلا أنه من المؤكد أن الجينات الوراثية تساعد كثيراً فى تحديد ملامح شخصية كل منا وأن العديد من الجوانب فى شخصيتنا تجعلنا أفضل أو أسوأ فى التعامل مع حياتنا الزوجية . وبالتالى فليس هناك جين وراثى خاص بالطلاق ، فالأزواج عادة ينفصلون لسلسلة طويلة من الأسباب ، ولكننا نعتقد أن سمات الشخصية التى تؤدى للطلاق أو تجعل الطلاق سهلاً فإنها ترتبط فى الغالب بالتكوين الجينى للإنسان .

ما بعد الطلاق

.. المراحل النفسية

..وقع الطلاق . فجأة سكن كل شيء . صمت مطبق وخواء وفراغ . وانصرف كل لحاله . ولى كل واحد الآخر ظهره . مضى فى عكس الاتجاه . حلت النهاية وأسدلت الستارة . انتهت حكاية .. حكاية اثنين عاشا معاً . ناما فى سرير واحد . مارسا الحب . أكلا من طبق واحد . تنفسا هواءً مختلطاً بأنفاس كل منهما . ضحكا . غضبا . تشاجرا . تصالحا ولاحت فى الأفق شياطين الانفصال والفرقة والغربة فتعطلت المشاعر الطيبة . وحلت تدريجياً مشاعر غير طيبة . مشاعر لا يحملها الإنسان إلا لند منافس أو عدو . تدريجياً وربما ببطء شعر كل منهما بالغربة فى وجود الآخر . فتعاملا كالغرباء . ثم كالأعداء .

.. وتحركت فكرة الطلاق . فكرة . ثم امتزجت الفكرة بالوجدان . فساء السلوك أكثر فأكثر . وتأكدت الفكرة وتشبع بها الوجدان . وحسم أحدهما الموقف وقرر . أو قررا معاً .

.. ووقــع الطــلاق .

.. ليس مهماً الآن لماذا وقع . وهل كان من الممكن تحاشيــه . ؟

.. ليس مهماً أن نسترجع الحكاية من بدايتها . طالما أننا وصلنا إلى النهاية فالبداية ليست مهمة . المهم وقع الطلاق . قد يكون لأسباب حتمية . وقد يكون لأسباب عبيثة . قد تكون البداية خطأ . اختيار خاطىء . قد يكون أحدهما سيئا . وقد يكون كلاهما . قد يكون أحدهما مريضا . أو مضطرب الشخصية . أو خائنا . أو نرجسيا . أو أنانيا وبخيلا . أو عدوانيا لا إنسانى . أو مستهترا أحمق . أو ... أو ...

.. المهم الآن هو أن الطلاق وقع .

.. فما هى الآثار المترتبة على الطلاق .

إن الإنسان المطلق يمر بمراحل . وهى تقريباً نفس المراحل التى يمر بها من فقد إنساناً عزيزاً عن طريق الموت . أى حالة من الأسى . بالرغم من أنه فى حالة الطلاق فإن الفقد لا يكون لإنسان عزيز . بل ربما يكون لإنسان

كريه . ولكن كل جبال الكراهية تتوارى تماماً خلف ضباب يحجبها عن المشاعر . فيصاب الإنسان بحالة من التبلد . إذ فجأة سكن كل شىء وسكت . وها هو قد رحل . فلا يوجد طرف ننازعه ونتشاجر معه . لا يوجد طرف نكرهه وجهاً لوجه ونعاديه . لا يوجد هدف نصوب عليه . لقد رحل واختفى . ولم يبق إلا الفراغ .

.. إذن بعد الطلاق مباشرة تتعطل كل المشاعر تصاب بحالة تنميل . برود . لا شىء .

.. يعقبها مباشرة ربما بعد يومين أو ثلاثة أو أسبوع حالة من عدم التصديق . حالة من الإنكار . وكأن الطلاق لم يقع . كيف وقع ولماذا وقع ؟ كلا إنه لم يقع . لا بل قد وقع . هل معنى هذا أن كل شىء قد انتهى !! نعم لقد انتهى كل شىء !! ألا يوجد ثمة احتمال أن هذا حلم !! لا بل هو واقع !! ألا يوجد ثمة احتمال أنه قد يعود !! لا لن يعود . أو أنا لا أريده أن يعود . أو ربما يعود . أو ربما أتسامح أنا وأدعه يعود ..

.. هكذا يكون حوار الإنسان مع نفسه فى مرحلة الإنكار وعدم التصديق بعد المرور بمرحلة الصدق أى مرحلة التنميل .

• وبعد أسبوعين أو ثلاثة يدخل الإنسان فى المرحلة الثالثة وهى مرحلة الحزن . وهى أقرب إلى حالة الاكتئاب

بحيث نستطيع أن نقول إن المطلق (أو المطلقة) يدخل فى حالة اكتئاب فعلى شبه مرضى . وكل الأعراض التى تصاحب هذه المرحلة تشابه أعراض الاكتئاب تماماً . فهو يشعر بأنه فاشل . أنه مذنب . أنه مخطىء . أنه لم يكن يستحق نعمة الحياة الزوجية . أنه غير جدير بالزواج وغير جدير بالإنسان الذى عاش معه . يشعر بأنه ليس فقط فاشلاً فى الزواج ولكنه فاشل فى الحياة . أنه لم يحقق أى نجاح . وأن أى نجاح حققه ما هو إلا نجاح وهمى زائف مزيف خادع .

.. تنهار تماماً الثقة بالنفس . ويأسى الإنسان على نفسه . يشفق عليها أحياناً ويؤنبها ويعاقبها ويسبها فى أحيان أخرى .

.. يضطـرب النــوم .

.. تضطـرب الشهية للطعام .

.. يفقد الإنسان قدراً كبيراً من وزنه لانسداد شهيته أو قد يأكل كثيراً فيزداد وزنه .

.. يفقد القدرة على الاستمتاع بأى شىء .

.. وقد يبكى . تنهمر دموعه بسهولة .

.. يضعف تركيزه . ويقل أو ينعدم إقباله على عمله .

.. ويشعر بأن كل الطرق أمامه قد سُدت .

.. تستغرق مرحلة الحزن شهراً . وفى خلال هذا الشهر قد يجد دعماً معنوياً من المحيطين به . قد يؤكدون له أنه كان محقاً فى سعيه للطلاق . وأنه سيكون أحسن حالاً بعد طلاقه . وأن هذا الطلاق كان حتمياً لأن الطرف الآخر كان سيئاً . وأن عليه أن يفكر فى أن يبدأ حياة جديدة .

● وتدريجياً يذهب الحزن أو يذهب الاكتئاب ولكن يدخل الإنسان فى المرحلة الرابعة . وهى مرحلة الغضب . وقد يتوجه بكل غضبه للمحيطين به . وقد يحملهم سبب فشله فى حياته . ولكن بالدرجة الأولى يوجه غضبه ناحية مطلقه يراه أسوأ الناس . ويحمله مسئولية فشل الحياة الزوجية . وقد يفكر فى الانتقام منه بوسيلة أو بأخرى . ويسبه فى داخله ويسبه ويسىء إليه علناً .

.. وفى هذه المرخلة يكون الإنسان قلقاً عصبياً سهل الاستثارة نافد الصبر . ويصاحب ذلك استمرار لاضطراب وظائفه البيولوجية فى النوم والشهية للطعام وكذلك افتقاد كامل للرغبة الجنسية واضطراب الدورة الشهرية عند المرأة والتى قد تنقطع تماماً لفترة ليست قصيرة .. فى هذه المرحلة قد يقدم الإنسان على بعض الحماقات كاللجوء إلى المخدرات والمسكرات أو الاندفاع فى علاقات بالجنس الآخر . أو الإقدام المفاجىء على الزواج . إنها حالة من عدم الاتزان

العاطفى المصاحبة لحالة من الغضب . وقد يفكر فى الاتصال بمطلقه لمعاتبته أو لمهاجمته أو ربما يقصد من ذلك - لا شعوريا - فتح باب للحوار معه قد يؤدى إلى الرجوع إليه .

كما أنه يكثر من الحديث عن مطلقه . حديثاً سيئاً سلبياً ولكنه فى حقيقة الأمر يعنى أنه مازال مهتماً به . يعنى أنه مازال يحتل بؤرة شعوره ووعيه واهتمامه . يعنى أنه فشل فى أن ينساه . إذ ليس بسهولة أن يمحو الإنسان فى غضون أسابيع قليلة سنين من حياته .

.. وقد يتصل بمطلقه فعلاً . وقد يعاود الحوار معه . وقد يأخذ الحوار طابعاً هادئاً . ثم ودياً . وقد يتم التراجع عن الطلاق فى هذه المرحلة . وقد تسوء الأمور أكثر بينهما ويعقب ذلك القطيعة النهائية وتأكيد عدم وجود أية احتمالات للعودة على الإطلاق .

● ثم يدخل الإنسان فى المرحلة الخامسة والأخيرة . وفيها يتخلص من كل الأعراض المرضية الحادة . ويبدأ فى مشوار مزمن من اعتلال المزاج .

.. حقيقة هو ليس مكتئبا . وليس حزينا . وليس قلقا . ولا غاضبا . ولكنه فقد القدرة على الاستمتاع الحقيقى بأى شىء فى الحياة . فقد القدرة على التذوق والشم واللمس . فقد القدرة على السرور العميق والبهجة الحقيقية . فقد القدرة

على الإحساس بأهمية الأشياء والأماكن والأيام . إحساس غامض داخلى غير واضح باللا معنى . باللا هدف . بالضياع . باللاأهمية .

.. ثم يعتدل مزاجه بعض الوقت ويشعر بأنه قد عاد لحالته الطبيعية ويستعيد قدرته على الاستمتاع بالحياة . ولكن سرعان ما تعاوده حالة اعتلال المزاج وهكذا يظل يتقلب من حالة لأخرى .

وقد تعاوده بشكل حاد ولفترات مؤقتة وقصيرة الأعراض الحادة من الاكتئاب والقلق والغضب والتى تتميز أساساً بانهيار الثقة بالنفس والإحساس بالفشل .

• وطوال هذه المراحل يشعر بالوحدة . بـالسأم . بالملل . بالفراغ . قد يحاول أن يندمج مع الناس ويسترجع نشاطاته وصداقاته السابقة قبل الزواج وقد يحيط به الصخب من كل جانب وفى كل وقت ولكنه يشعر بالوحدة . وأية مشاعر بالوحدة تصاحبها أحاسيس الخوف وقد يكون خوفاً غير ظاهر . غير حاد . غير مرئى . ولذا يكون الإحساس البديل هو عدم الطمأنينة .

• ربما بعد عام أو أكثر يتخلص من هذه المشاعر السلبية المرضية . ربما يطول الأمر إلى ثلاثة أعوام . وهذا يتوقف على عدة عوامل :

– هل كان الطلاق مباغتاً له أم كان متوقعاً ؟

– هل هو الذى سعى إلى الطلاق أم فُرض عليه من الطرف الآخر ؟

– هل مازال يحمل مشاعر إيجابية تجاه الطرف الآخر حتى بعد طلاقه منه ؟

– هل تم الطلاق بهدوء أم كان هناك عنف ؟

– هل تم تسوية كل الأمور بينهما بعد الطلاق بما فى ذلك مشاكل الأولاد أم أنه مازالت هناك أمور معلقة ؟

– مدى الثراء فى حياته من عمل يشغله وأصدقاء يحيطون به .

– هل مازال أصدقاؤه هم الذين كان يعرفهم أثناء زواجه أم استطاع أن يتعرف على أصدقاء جدد أم عاد لأصدقائه قبل الزواج ؟

– مدى الصعوبات المادية التى من الممكن أن يكون قد واجهها بعد الطلاق .

– مدى إحساسه بمسئوليته المباشرة عن الطلاق .

– مدى انسداد كل الطرق للعودة مرة ثانية أم أنه مازالت هناك فرصة أو احتمال للعودة .

– هل ينوى الزواج مرة أخرى . هل هناك إنسان جديد فى حياته . بمعنى هل هناك أمل فى حياة زوجية جديدة ؟

حيـاة ما بعـد الطـلاق

.. إن المطلق يواجه حياة جديدة ومختلفة

١ - إنه الآن يواجه الحياة بمفرده . لقد كان اثنين وأصبح الآن واحداً . ربما لم تكن حياته الزوجية موفقة على الإطلاق . ربما كان شريك حياته بعيداً عنه نفسياً ومادياً .. ربما كان يعيش فى عزلة . ربما .. وربما .. ولكن فى كل الأحوال كان اثنين . كان هناك مرجع . طرف ثان . أما الآن فهو واحد . وحيد تماماً .

٢ - ولأنه أصبح واحداً وحيداً فعليه أن يواجه الحياة بمفرده . عليه أن يتحمل المسئولية كاملة . لا أحد يسأله ولا أحد يحاسبه وهو كذلك لا يسأل أحداً ولا يحاسب أحداً . حرية كاملة . لا مشاركة ولا تعاون ولا مسئولية مشتركة .. عليه أن ينهض بكل شيء بنفسه . إنه المسئول الأول والأخير أى المسئول الأوحد . وكذلك هو المرجع الأوحد .

٣ - ولقد تغيرت صفته الاجتماعية . فالناس ترى الشخص فى إطار حياته الشخصية . الناس لا ترى الشخص مجرداً . بل تراه زوجاً أو مطلقاً أو أرمل أو أعزب . الناس ترى الشخص فى إطار من حوله . والآن وبعد الطلاق تتغير نظرة الناس إليه . كان الناس يرونه فى إطار زوجة . أما الآن فإنهم يرونه بصورة جديدة . وبالتالى فعليهم أن

يتعاملوا معه بصفته الجديدة . كان الناس يتعاملون مع اثنين . والاثنان كان يُنظر إليهما كوحدة واحدة : هو وزوجته أو هى وزوجها . أما الآن هو فقط وهى فقط . وبالتالى فالمعاملة ستتغير . موقف الناس سيتغير . إنه تغيير حقيقى يلحظه المطلق فى معاملة الناس له وموقفهم منه . فمثلما تتغير أحاسيس المطلق تجاه ذاته ورؤيته للحياة ومواجهته لها فإنها تتغير أيضاً مشاعر الناس ورؤيتهم وموقفهم من المطلق .

٤ – يتغير أيضاً روتين الحياة وشكلها ولابد أن تتغير بالتبعية بعض العادات .

.. بروجرام اليوم يتغير .. قد يطرأ تغيير على مواعيد النوم واليقظة والطعام . شكل الأيام يتغير . شكل الأجازة يتغير . ولا يعنينا هنا هل هو تغير فى الاتجاه السلبى أم الإيجابى . ولكن المهم أن تغييراً لابد أن يطرأ على شكل حياة المطلق وروتينها .

٥ – وفى بعض المجتمعات قد يتعرض المطلق لمواقف سلبية ونظرة ظالمة ومعاملة غير طيبة من الناس . وخاصة المرأة المطلقة ، وخاصة فى بعض المجتمعات وبعض البيئات الاجتماعية . وربما هذا هو السبب فى أنه فى هذه المجتمعات وهذه البيئات الاجتماعية بالذات تحجم المرأة عن

الطلاق مهما كانت درجة معاناتها من الزواج لما تتوقعه من تدهور اجتماعى سيلحق بها بعد الطلاق ومن مواقف حرجة ومؤلمة وظالمة من الناس . وعموماً فإن المطلق رجلاً كان أو امرأة يلقى ترحيباً اجتماعياً أقل وخاصة من الأسر المتماسكة وكأن المطلق كالمريض الذى يحمل ميكروباً معدياً . أو كأنه يذكر الناس بالفشل الذى قد يتعرض له أى زواج أو هو ذاته المطلق نموذج للفشل ، أو خوف الناس من الحسد (فى بعض البيئات التى تعتقد بالحسد) إذ يتصورون أن المطلق سيحسدهم على حياتهم الزوجية الموفقة .

.. وهذه بالطبع نظرة ظالمة للمطلق ، إذ إن المطلق قد يكون غير مسئول إطلاقاً عن فشل الحياة الزوجية ، وقد تكون حاله أفضل كثيراً بعد طلاقه ويكون راضياً سعيداً بهذه الحياة بعد حياة زوجية مؤلمة وقاسية ، وأنه هو فى حد ذاته كشخص بمفرده يملك مؤهلات النجاح فى الحياة العامة والخاصة ، وأنه أيضاً قيمة إنسانية سامية .

٦ - وعلى المطلق أيضاً أن يواجه الحياة وهو مستقل اقتصادياً . وربما ينخفض مستوى الحياة إذا كان يعتمد قبل طلاقه على الطرف الآخر اقتصادياً . وقد يضطر للعمل أو لمضاعفة العمل ليستعيد ويحافظ على المستوى الاقتصادى الذى كان ينعم به قبل الطلاق .

٧ – وتواجهه أيضاً مشكلة الإقامة . إذ إن عليه فى بعض الأحيان أن يغادر هو منزل الزوجية وبالتالى عليه أن يبحث ويرتب مكاناً آخر . والانتقال إلى مكان آخر للحياة يحمل فى حد ذاته بعض التغيرات النفسية والتى قد تواجه بعض الناس حتى بدون طلاق . حتى وإن كانت الأسرة كلها ستنتقل إلى مسكن جديد . وحتى إن كان هذا السكن الجديد أفضل من القديم . هذه مشكلة من مشكلات التكيف التى على المطلق أن يواجهها . وقد تسبب له بعض المعاناة . وهذا أحد جوانب تغيير شكل الحياة بشكل عام .

٨ – ثم عليه أن يواجه الأولاد بمفرده . لقد كان الأولاد مسئولية الأب والأم معاً فى مكان واحد . الآن الأب يعيش فى مكان والأم تعيش فى مكان آخر . ولكن مازال هذا الأب وهذه الأم .. المطلقان مرتبطين . مازال هناك شىء يربط بينهما . مازال هناك شىء مشترك وهو الأولاد ومسئولية إعاشتهم وتربيتهم ورعايتهم والمحافظة عليهم والترتيب لمستقبلهم . وبالتالى فإن الحوار لم ينقطع نهائياً . ولن ينقطع . إذن مازال عليه أن يتعامل مع شريكه القديم . مع مطلقه . وتلك صعوبة أخرى وخاصة إذا كان ينوى أن يبدأ حياة جديدة مع شخص جديد . تلك مسألة تحيطها بعض الصعوبات والمشكلات وتحتاج إلى درجة من النضج والوعى والشعور بالمسئولية تجاه الأولاد . تحتاج أيضاً إلى سمو

أخلاقى وإنسانى . تحتاج إلى أن يرتفع الإنسان فوق آلامه ومشاعره السلبية تجاه الطرف الآخر . ولكن تبقى مشكلة أنه يواجه الأولاد وحده بدون وجود الطرف الآخر معه بشكل مباشر فى نفس الزمان والمكان .

٩ - ثم إن المطلق الآن يعيش بدون عواطف وبدون جنس . قد تكون حياته الزوجية قبل الطلاق خالية من أى عواطف . وعلاقته الجنسية بالضرورة كانت مضطربة . وربما الآن بعد الطلاق قد تخلص من عبء علاقة جنسية كانت تثير لديه الألم والنفور . وتخلص أيضاً من عبء أن يجامل عاطفياً إذ لم يكن يحمل أية مشاعر للطرف الآخر بل ربما كان يحمل له مشاعر الكراهية .

.. ولكنه الآن وعلى أى الأحوال ومهما كانت الأحوال قبل الطلاق فإنه يعيش فى الصحراء الجرداء التى ليس بها أى ماء يروى احتياجاته العاطفية والجنسية .

□ □ □

.. والأمر يختلف من إنسان لإنسان .

.. هناك إنسان يستطيع أن يعيش وحيداً . يستطيع أن يواجه الحياة بمفرده . لا يعانى مشكلات ضخمة من شعوره أنه أصبح واحداً بدلاً من اثنين . يستطيع أن يتجاهل تغير موقف الناس تجاهه بعد طلاقه . يستطيع أن يتكيف على

شكل الحياة الجديد . يستطيع أن ينشىء أصدقاء جددا . بل ربما يستطيع أن يعيش بلا أصدقاء . ولا يؤلمه عدم الترحيب الاجتماعى من الأسر التى تتحفظ فى علاقتها بالمطلق . يستطيع أن يستقل اقتصادياً . يستطيع أن يعيش بلا عاطفة وبلا جنس أو هو يستطيع أن يكبت احتياجاته الوجدانية والبدنية .

.. وهناك إنسان آخر لا يستطيع .. الحياة بالنسبة له أن يكون هناك إنسان معه . أن يعيش مع إنسان . إنسان قريب . أن يتكلم مع إنسان . أن ينام بجانب إنسان . أن يكون مسئولاً عن إنسان وأن يكون مسئولاً من إنسان . كما أنه لا يستطيع أن يواجه الحياة بمفرده ولا يتحمل موقف الناس منه وهو مطلق . ولا يستطيع أن يعيش بدون عاطفة . ولا يستطيع أن يعيش بدون جنس . ربما ليس لاحتياج جنسى أولى ولكن لأن هذا تعبير عن أقصى درجات إنسان آخر منه .

.. إن حياة الطلاق قد تناسب بعض الناس وتوافق شخصيتهم .

.. ولكن بعض الناس لا يستطيعون . وتسوء حالتهم كثيراً بعد الطلاق . هؤلاء الناس لابد أن يتزوجوا مرة أخرى .

□ □ □

تعاسة الأبناء مضاعفة . تفوق تعاسة الزوج والزوجة بعد الطلاق . وهو نفس الإحساس بالخراب والضياع ، وانهيار الكيان . الكيان الأسرى الذى كان يضمهم . الكيان الذى كانوا متوحدين معه . إن الطلاق له تأثيره المباشر على الأبناء . ومعاناتهم لا تقل عن معاناة الزوج والزوجة . وإذا كان الزوج أو الزوجة يشعر كل منهما بأنه واحد بعد الطلاق بدلاً من اثنين فإن إحساساً مشابهاً يداهم الأبناء . إنه إحساس بالتداعى والانهيار الداخلى . إحساس بأنه انتقص منهم شيء . إحساس بالنقصان . إحساس بالفقد . فقد جزء من الذات . من الهوية . من القيمة . فقد جزء من النفس .

.. إنها مشاعر الفقد والانتقاص من الكيان الذاتى . وكما يكتسب الأب أو الأم صفة مطلق فإن الأبناء يشعرون بأنهم أيضاً أصبحت لهم صفة جديدة أو اسم جديد لأنه قد أصبح لهم وضع جديد . صورة جديدة . إنهم الآن مختلفون .

.. هذه هى المشاعر الأولى الدقيقة التى تنتاب الأبناء بعد الطلاق . وكأنهم هم الذين طلقوا . وهم فى الحقيقة طُلقوا . لقد طُلقوا من الحياة الأسرية المتماسكة . طُلقوا من البيت المستقر .

□ □ □

.. ولذلك فالأبناء غير سعداء بالطلاق .

□ □ □

.. وهم لايهمهم لماذا حصل الطلاق . وهل كان من الضرورى أن يقع . ولا يهمهم من المسئول : الأب أم الأم . لا يهمهم إلا أنه قد وقع وأنهم الآن فى وضع جديد وحالة أسوأ .

□ □ □

وهم لا يهمهم قدر ما كانوا يعانونه من قلق وفزع وخوف وعدم سعادة قبل الطلاق . ولا يهمهم ماقد يطرأ على حياتهم من تغيير إيجابى فعلى بعد الطلاق . هم لا يدركون ذلك أو بالأصح لا يهمهم ذلك . إن مشكلتهم بعد الطلاق هى حالة الفقد والانتقاص من الكيان الذاتى . انهيار الأسرة وخراب البيت .

□ □ □

وهم لا يهمهم قدر المعاناة التى كانت تشعر بها الأم أو قدر الألم الذى كان يعانيه الأب أو يعانيه الاثنان معاً . لا يهمهم كم كانت الحياة الزوجية بين أبيهم وأمهم غير موفقة وغير سعيدة بل كانت مصدراً للألم . لا يهمهم أن أباهم أو

أمهم قد يكونان أفضل بعد الطلاق . إن ما يهمهم وما يؤلمهم حالة الفقد والانتقاص من الكيان الذاتى .

□ □ □

.. وتتلخص الآثار التى يتعرض لها الأبناء بعد الطلاق فى الآتى :

١ - بالإضافة إلى مشاعر الانتقاص والفقد فإنهم يعانون أيضاً من انهيار الثقة بالنفس . إنها مشاعر تشابه تلك التى يشعر بها الأب والأم بعد الطلاق . إنها مشاعر الفشل والإحباط واللاقيمة واللا أهمية .

٢ - وكذلك يعانون اجتماعياً . فهم الآن مختلفون عن معظم الأبناء . فالكل لهم آباء وأمهات يعيشون معاً . لهم كيان . أسرة متماسكة .. ولذلك فقد تظهر لهم حساسية جديدة تجعلهم يعتقدون أن الناس تنظر إليهم بطريقة مختلفة . تتعامل معهم بطريقة خاصة . وقد يكون ذلك غير حقيقى . ولكن هكذا يشعرون . فالمشكلة داخلهم وليست خارجهم . وهى مشكلة حقيقية واقعية لها أساسها المادى . وهى أنهم أصبحوا مختلفين فعلاً . أصبحوا أبناء الأسرة المفككة ولذلك فعليهم أن يواجهوا المجتمع بصورتهم الجديدة . وهذا يتطلب تكيفاً يزيد من أعبائهم النفسية . على

الأبناء أن يتكيفوا مع الوضع الجديد . والوضع الجديد هو أنهم لا يستطيعون أن يظهروا مع الأب والأم وهما معاً . إما أن يكونوا مع الأب وحده أو مع الأم وحدها . عليهم أن يتعاملوا مع أبناء الأسر المتماسكة بالرغم من مشاعر النقص التى تجتاحهم .

٣ - عليهم أن يواجهوا الحياة . المجتمع والناس . المدرسة . والأصدقاء فى ظل حياة مع الأب وحده أو مع الأم وحدها . فالأبناء فى الغالب يعيشون مع أحد الوالدين بصفة دائمة ويصبح الوالد الآخر على هامش حياتهم . حياة كاملة مع طرف وحياة هامشية مع الطرف الآخر . طرف هو أساس الحياة ومصدرها الحقيقى وطرف آخر هامشى لا يلعب دوراً أساسياً أو مؤثراً فى حياتهم وإنما يتعاملون ويتفاعلون معه كأنه صديق . التحام عضوى حياتى يومى بطرف ولا التحام على الإطلاق بالطرف الآخر . ولذلك فهم يظهرون للمجتمع فى ظل ومع الطرف الذى يعيشون معه حياة دائمة . هكذا تأخذ الحياة شكلها الجديد . هكذا يتعايشون مع المجتمع بناسه ومشاكله ومتطلباته .

٤ - وتلك حياة لها مشاكلها . فبعض المواقف الاجتماعية تحتاج لوجود الأب . ومواقف أخرى لا يصلح فيها ولا يصح إلا وجود الأم . فالأب لا يستطيع أن يحل محل

الأم . والأم لا تستطيع أن تحل محل الأب . هو أب واهم ذلك الذى يتصور أنه يستطيع بجهد مضاعف ومخلص أن يعوض الأبناء ابتعاد أمهم عنهم . وهى أم واهمة تلك التى تتصور أنها تستطيع بجهد مضاعف ومخلص أن تعوض الأبناء ابتعاد أبيهم عنهم . الحياة تحتاج الأب مثلما تحتاج الأم . ثم إن الحياة تحتاج وجود الأب والأم معاً . إن (معاً) هذه تلبى احتياجات من نوع خاص وتواجه مواقف ذات طبيعة معينة . احتياجات ومواقف لا يستطيع الأب أن يواجهها بمفرده ولا تستطيع الأم أن تواجهها بمفردها . وكذلك لا يستطيع الأب والأم أن يواجهاها وهما منفصلان . إنها احتياجات ومواقف تتطلب أن يكون الأب والأم معاً فى بيت واحد ومعهما أبناؤهما .

.. إذن الأبناء إما أن يفتقدوا الأب أو يفتقدوا الأم . كذلك فإنهم يفتقدون - وهذا هو الأهم - وجود الأب والأم (معاً) .

٥ - ثم يواجه الأبناء مشكلة نفسية أخرى أعمق وأحد . وهى مشكلة الولاء العاطفى . فالحياة الدائمة مع طرف والابتعاد المكانى عن الطرف الآخر يخلق لديهم حالة من عدم التوازن العاطفى . فالافتراض الصحى والطبيعى أن تكون عواطفهم متوازنة ومتعادلة ومتوازية ناحية كل من الأب

والأم إلى حد كبير . قد تميل كفة الميزان ولكن قليلاً جداً فى الأحوال الطبيعية وذلك حسب جنس الطفل وعمره . ولكن عموماً تكون عواطفه متوازنة إلى حدٍ بعيد . وهذا التوازن لا يشعر به إلا إذا كان الأب والأم يعيشان معاً . ابتعاد أحدهما يخلق حالة من عدم التوازن . وهذا أخطر ما يمكن أن يواجهه الطفل فى مراحل نموه النفسى الأولى . فهو يحتاج إلى بعض جوانب صورة الأب ليتوحد معها . وهو يحتاج بنفس القدر إلى بعض جوانب صورة الأم ليتوحد معها . التوحد يكون مع كل من الأب والأم سواء أكان الطفل ذكراً أم أنثى ..

.. الطفل الذكر يحتاج إلى الأب ليبنى له الكيان الرجولى فى شخصيته . ليدعم الجزء الذكرى فى نسيجه النفسى . يحتاج رجلاً وهو أبوه ليكون رجلاً مثله . وأيضاً يحتاج إلى أن يبنى الجزء الأنثوى فى شخصيته . الجزء الذى يدرك به الأنثى فى حياته . الجزء الذى يجعله يشعر بالأنثى . يشعر كيف تشعر ، وبذلك يعيش معها ويتفاعل معها .. الطفل الذكر الذى ينشأ بدون أم يجد صعوبة كبيرة فى التعايش والتفاعل مع أنثى . معرفة الأنثى لا تتحقق إلا من خلال الأم . وكذلك الطفلة الأنثى تحتاج إلى الأم لتصير أنثى . تحتاج إلى الأم لتبنى لها الكيان الأنثوى فى شخصيتها ولتدعم الجزء الأنثوى فى

نسيجها النفسى . تحتاج امرأة وهى أمها لتكون امرأة مثلها .

وأيضاً الطفلة الأنثى تحتاج إلى أبيها ليبنى الجزء الذكرى فى شخصيتها . الجزء الذى يجعلها تشعر بالرجل . تشعر كيف يشعر ، وبذلك تعيش معه وتتفاعل معه . الطفلة الأنثى التى تنشأ بدون أب تجد صعوبة كبيرة فى التعايش والتفاعل مع رجل . معرفة الرجل لا تتحقق إلا من خلال أب .

.. وعملية التوحد وأهميتها فى البناء النفسى للطفل تحتاج إلى حب . لابد أن يحب الطفل أمه . ولابد أن يحب الطفل أباه . إذا لم يحب الطفل أمه فشل فى التوحد معها أو واجه صراعات حادة فى التوحد معها . وإذا لم يحب الطفل أباه فشل فى التوحد معه أو واجه صراعات حادة فى التوحد معه .

ولذلك فالطلاق يحرم الطفل من التوحد الحقيقى والمستمر مع الطرف الذى يعيش بعيداً عنه . وفى نفس الوقت فإن الطفل يحمل مشاعر عدائية لا شعورية تجاه الطرف الذى يعيش معه (الأب والأم) لأنه يعتبره مسئولاً مع الطرف الآخر عن حالة الطلاق . ولذلك فإنه يجد نفس الصعوبة فى التوحد مع هذا الطرف .

□ □ □

.. ولذلك فإن هذا الطفل يواجه أزمة هوية جنسية ، فهو طفل ذكر فشل فى التوحد مع الأب ليصبح رجلاً مثله وفشل فى التوحد مع الأم ليعرف كيف يشعر بالأنثى . وهى طفلة أنثى فشلت فى التوحد مع الأم لتصير امرأة أنثى مثلها وفشلت فى التوحد مع الأب لتعرف كيف تشعر بالرجل .

.. هـذا يحدث سـواء استقر الأطفال مع الأب أو استقروا مع الأم .

.. ولكنهم بدون شك يكونون أكثر توحداً مع الذى يعيشون معه . أو فلنقل أقل فشلاً فى التوحد مع الطرف الذى يعيشون معه عن الطرف الذى يعيش بعيداً عنهم .

.. الطرف الذى يعيش بعيداً عنهم (الأب والأم) يفشل كنموذج ليتوحد الأبناء معه .

٦ - وصعوبة نفسية أخرى يواجهها هؤلاء الأبناء وهى فشلهم فى التوحد مع النموذج الأسرى . فمعنى الأسرة لا نكتسبه إلا من خلال الحياة مع أسرة . قيمة الأسرة وجدواها وقيمها وأهميتها وفلسفتها لا يتمثلها الطفل ولا يدركها ولا يستوعبها ولا يبتلعها ولا يتوحد معها ولا ترسخ فى عقله ووجدانه إلا إذا عاش مع أسرة . إلا إذا عاش مع أب وأم يعيشان معاً .

.. لا معنى ولا قيمة ولا أهمية للأسرة إذا عاش الطفل

بدون أسرة . وتعبير « بدون أسرة » مقصود به أسرة بدون أب أو بدون أم بسبب الطلاق .

.. والتوحد مع الأسرة معناه قدرة الطفل على الإحساس بأنه ينتمى لجنس معين وأن عليه أن يرتبط بإنسان من الجنس الآخر ويعيش معه حياة أبدية خالدة . وأن الحياة لا تكون ممتعة ومثمرة وسعيدة إلا من خلال الحياة مع هذا الإنسان .

٧ - إذا واجهت الطفل أزمة الهوية الجنسية وواجهته مشكلة الفشل فى التوحد مع معنى الأسرة فإن جهازه القيمى يفتقد لبعض القيم المهمة ، أو حين تتكون عنده هذه القيم تكون ضعيفة مهزوزة مشوشة وهى قيم الحب والعطاء والتفاعل الإنسانى مع الجنس الآخر ، واحترامه وتقديره والإحساس الحقيقى بالاحتياج إليه . وقيم الإخلاص والوفاء وهى قيمة رسوخ العلاقات وثباتها واستقرارها ورسوخها . ولذا فإن هذا الطفل قد تتدعم لديه قيم أخرى سلبية وهى الأنانية والإحساس بعدم الاحتياج للآخر ، ومحاولة تقوية إمكانياته الذاتية إلى حد الاستغناء الكلى (عاطفياً ومادياً) عن الجنس الآخر . مع توخى الحذر والشك إذا ارتبط بالجنس الآخر . إنه يكون قوياً ومستقلاً أكثر مما يحتاج للزواج . ويكون أنانياً أكثر مما يحتمل الزواج . وتتأكد لديه قيم

السوق فى التعامل مع زوجه وهى قيم الأخذ بقدر العطاء أو الأخذ بقدر يفوق ولو قليلاً العطاء .

.. مثل هذا الإنسان يستطيع بسهولة وبدون آثار نفسية مدمرة أن يستغنى عن شريك حياته إذا لم يتحقق له الإشباع الكامل فى كل الجوانب من هذا الشريك . إذا افتقد شيئاً فإنه يبحث عنه فى مكان آخر . وإذا افتقد عدة أشياء فإنه يقرر وبسهولة وببساطة الاستغناء عن هذا الشريك . ويستطيع بنفس السهولة وبنفس البساطة أن يبدأ الحياة مع إنسان جديد .

□ □ □

مساعدة أطفال المطلقين

.. معالجة الآثار النفسية التى يتعرض لها الأبناء بسبب الطلاق ، والتخفيف من آثار التدمير الذى يلحق بهؤلاء الأبناء ، ومحاولة مساعدتهم بطريقة إيجابية لتعويض النقص النفسى والاجتماعى بل وأيضاً بطريقة بناءة لينموا نمواً صحياً سليماً ، كل هذا يتطلب أبا وأما ناضجين يتمتعان بحس إنسانى سوى ويمتلكان بناءً أخلاقياً متماسكاً .

.. قد يتصور البعض أن هذه الافتراضات المثالية من الصعب توافرها فى اثنين فشلا فى أن يحافظا على قدسية الحياة الزوجية . وهذا غير حقيقى لأن بعض حالات الطلاق تكون لأسباب خارجة عن الإرادة . أسباب قهرية . أسباب أباحها الله عن كره وبغض . أسباب متعلقة بالضعف الإنسانى وليس السوء الإنسانى . والفرق كبير بين الضعف والسوء . ولهذا فالزوج والزوجة قد يكون كل منهما على حدة يتمتع بهذا النضج وتلك الأخلاق الإنسانية . ولكنهما حينما كانا معاً كانا سيئين أو كان أحدهما سيئاً .

.. وفى بعض حالات الطلاق الأخرى يكون أحد الطرفين سيئاً فعلاً . سيئاً لأنه هو سيىء كإنسان .

.. وفى قليل من حالات الطلاق يكون الطرفان سيئين .. سيئين لأن كلا منهما سيىء كإنسان .

.. إذا كان أحد الطرفين سيئاً أو كلاهما سيئا فإن الأبناء يتعرضون فى هذه الحالة لكل الآثار النفسية المدمرة للطلاق . بينما ينجو من بعض هذه الآثار أو تصبح أقل تأثيراً فى حالة الافتراض المثالى لكل من الأب والأم المطلقين .

□ □ □

ماذا نفعل من أجل أبنائنا بعد الطلاق ؟

– يجب الحرص على توفير الاستقرار المكانى للأبناء . بنفس المستوى الذى كانوا يعيشون فيه . ويُفضل فى نفس المكان .

– يجب الحرص على توفير مستوى حياة لا يقل عن المستوى الذى كانوا يعيشون فيه قبل الطلاق . وتوفير كل احتياجاتهم بنفس القدر .

– يجب الحرص على ألا نضطر الأبناء لأن يغيروا أسلوب حياتهم وعاداتهم ونشاطاتهم الاجتماعية والترفيهية .

– يجب الحرص على ألا نضطر الأبناء لأن يغيروا من خططهم التعليمية وما يتعلق بها من طموح علمى وظيفى .

– يجب أن نحافظ على الصورة الاجتماعية للأبناء وذلك عن طريق الوجود المستمر للأب والأم المطلقين فى حياة الأبناء وخاصة فى المناسبات الاجتماعية التى تقتضى ذلك .

وكذلك عدم تشويه صورة الأب أو صورة الأم اجتماعياً . فالأبناء يجب أن يظلوا فخورين بأمهم وبأبيهم مدى حياتهم .

يجب ألا نعرض الأبناء للإحساس بالخزى والعار . هذه أكبر جريمة نعرض أبناءنا لها .

– يجب ألا نستخدم الأبناء كوسيلة لإلهاب الصراع أو حل الصراع (عن طريق لوى الذراع) . يجب أن يكون الأبناء بعيدين كل البعد عن الصراعات التى قد تنشأ بعد الطلاق .

– محاولة طرف الإساءة للطرف الآخر بعد الطلاق هى نوع من الضعف وسوء الخلق وفقد الثقة بالنفس والإحباط والإحساس بالهزيمة والدونية وبذلك تضطرب صورته لدى أبنائه . يجب أن يحافظ كل طرف على صورته السوية فى نظر أبنائه . وأن يحافظ على صورة الطرف الآخر بعدم الإساءة إليه . كل المحاولات لجذب الأبناء عاطفياً والحصول على تأييدهم هى محاولات فاشلة . بل هى محاولات لا تثير لدى الأبناء إلا الاستخفاف والاستهزاء وربما الاشمئزاز . ولهذا يجب أن نحافظ على التوازن العاطفى لدى الأبناء بقدر الإمكان .

– وحرصاً على مستقبل الأبناء وحقهم فى الحب وحقهم فى أن يعيشوا حياة أسرية سوية يجب أن نؤكد لهم بقدر الإمكان وبحس أخلاقى إنسانى راق فاهم وواع أن فشل حياة

زوجية لأسباب خاصة لا يعنى فشل الحب أو فشل الزواج بشكل عام . يجب أن يستقر فى وجدانهم أن الحب هو أعظم قيمة إنسانية وأن الزواج هو أعظم أسلوب حياة . إن هذا هو الدليل الحقيقى على حبنا لأبنائنا وارتفاعنا فوق آلامنا وجراحنا الشخصية .

– يجب الحرص على استمرار الاحتفاظ بالسلطة الوالدية . وهى السلطة القادرة على التوجيه والتصحيح والتعليم والتربية والعقاب والثواب . وهى السلطة التى يجب أن تطاع بما لا يتعارض مع الروح الديمقراطية . ويجب أن يدعم كل طرف (الأب والأم المطلقين) سلطة الطرف الآخر . فتحض الأم أبناءها على طاعة أبيهم واحترامه وكذلك يحض الأب أبناءه على طاعة أمهم واحترامها .

– يجب أن يقف الأب والأم معاً فى مواجهة أى انحراف قد يتعرض له أحد الأبناء أو عصيان أو محاولة أحد الأبناء الاستفادة من وضع الطلاق الجديد أو محاولته ابتزاز أحد الطرفين . وهذا السلوك متوقع من بعض الأبناء بعد الطلاق .

فالغياب النسبى لإحدى السلطتين يدع مجالاً للأبناء – وخاصة إذا كان لديهم الاستعداد – للانحراف . وكذلك غياب الرقابة والإنهاك والمشاكل التى قد يغرق فيها الوالدان قد

تدفع الأبناء لاستغلال الموقف وابتزاز أحد الوالدين أو كليهما . وقد يتمادى أحد الوالدين فى إرضاء الأبناء جذباً لاهتمامهم والحصول على تأييدهم وولائهم أو كتعويض عن إحساسه بالذنب تجاههم مما يدفع الأبناء لمزيد من الانحراف .

.. ولذا يجب الحرص بقدر الإمكان على استمرار الأسلوب التربوى الذى كان متبعاً فى تنشئة الأبناء قبل الطلاق . إن هذا صعب فى الحقيقة وخاصة بسبب البعد المكانى للوالدين وبسبب الحالة النفسية التى يتعرض لها الوالدان وأيضاً بسبب الحالة النفسية التى يتعرض لها الأبناء ذاتهم . ولكن الأمر يحتاج إلى جهد . يحتاج إلى مغالبة النفس . الأمر ليس سهلاً . الأبناء معرضون لخطر حقيقى بعد الطلاق .

.. البعض يهون من أمر الأخطار التى قد يتعرض لها الأبناء بعد الطلاق وخاصة هؤلاء الذين يرون أن حال الأبناء يكون أفضل فى ظل الطلاق إذا كانت الحياة الأسرية غير موفقة . وهذا غير حقيقى . لاشىء يعوض الأبناء عن حياة أسرية متكاملة فى وجود الأب والأم معاً حتى وإن عاشوا حياة مثالية مشبعة بعد الطلاق . الأسرة المتكاملة هى الدعم

الأخلاقى الإنسانى العاطفى الوحيد للأبناء . حتى وإن عاشت هذه الأسرة فى ظل الصراعات والمشاحنات والنزاعات والشقاق .

□ □ □

.. هـذا من وجـهة نظـر الأبنــاء .

الزواج الثانى

فشل التجربة الأولي

.. ما هى احتمالات نجاح الزواج الثانى لإنسان فشل فى زواجه الأول ؟ هل فشل الإنسان فى زواجه الأول يزيد من احتمالات نجاحه أم يزيد من احتمالات فشله فى الزواج الثانى .. ؟

.. بالمنطق العام ، وهو منطق علمى تجريبى أن الفشل فى التجربة الأولى - فى أى شىء - يزيد من احتمالات نجاح التجربة الثانية - فى نفس الشىء - لأن الإنسان يكون قد تعلم شيئاً من تجربته الأولى . هذا هو أحد قوانين التعلم الرئيسية وهو المحاولة والخطأ . وهذا ينطبق أيضاً على الحيوان . فإذا وضعنا فأراً فى متاهة بها طرق متعددة ملتوية ومنعرجة وكلها مسدودة إلا طريق واحد يفضى فى النهاية إلى طعام .

.. الفأر الجائع سيحاول أن يصل إلى الطعام . سيجرب فى البداية عدة طرق ولكنه سيجدها مسدودة . سيحاول ويحاول

حتى يستطيع فى النهاية أن يهتدى إلى الطريق الصحيح الذى يقوده إلى الطعام . إذا وضعنا الفأر مرة ثانية فى نفس المتاهة فإنه سيستغرق وقتاً أقل فى الوصول إلى الطريق السليم . وهذا معناه أنه تعلم شيئاً من تجربته الأولى . إذا أعدنا التجربة عدة مرات فسنصل إلى مرحلة يستطيع فيها الفأر أن يصل إلى الطريق السليم مباشرة بمجرد إدخاله المتاهة .

.. فهل هذا ينطبق على الزواج . هل تثبت صحة قانون المحاولة والخطأ على الزواج مثلما ثبتت صحته فى مجالات التعليم الأخرى سواء عند الإنسان أو الحيوان . ؟

.. لا أعتقد . الزواج أمر مختلف . الزواج ليس تجربة معملية نخضعها لضوابط علمية ونستخلص منها قوانين . الزواج هو الإنسان كله .

الإنسان بطفولته وغرائزه وعواطفه وأفكاره وأحلامه وطموحاته وعاداته وتقاليده وفلسفته وأسلوبه فى الحياة . أسلوبه فى التعامل مع إنسان آخر والحياة معه . مفهومه عن الارتباط الإنسانى أو العلاقة مع الجنس الآخر . مفهومه عن الحب والجنس والأطفال والأسرة والحياة المشتركة . إحساسه بدوره فى هذا النسيج الإنسانى وهذا التفاعل الحى . الزواج هو الإنسان كله مع كل الإنسان الآخر .

.. ولذلك فالإنسان هو نفس الإنسان فى زواجه الأول وزواجه الثانى .

.. ويتزوج الإنسان فى المرة الثانية بنفس الطريقة التى تزوج بها فى المرة الأولى .

.. ويجتذب الإنسان شخصاً معيناً ليكون زوجه فى المرة الأولى . ويجتذب شخصاً شبيهاً أو مطابقاً ليكون زوجه فى المرة الثانية .

.. وإذا فشل الإنسان فى المرة الثانية فإنه سيفشل لنفس الأسباب التى فشل من أجلها فى المرة الأولى . وهذا معناه أنه لم يتعلم شيئاً .. أى فشل قانون المحاولة والخطأ فى مجال المعاملات الإنسانية . فى مجال الزواج . فالإنسان هو الإنسان . يتحدد أسلوب حياته فى المراحل المبكرة من حياته . ويظل هو نفس أسلوبه حتى آخر يوم فى حياته .

.. ولكن هذا ليس معناه أن تجربة الزواج الثانى حتماً ولابد أن تفشل . فاحتمالات النجاح قائمة . واحتمالات نجاح رائع ليست قليلة . والسؤال لماذا فشل فى المرة الأولى ونجح فى المرة الثانية ؟

.. الزواج ينجح من الناحية النظرية إذا عثر الإنسان على نصفه المكمل له . وهذا هو أيضاً نفس مضمون الحب . إذن قاعدة الحب الأساسية هى الضمان لزواج موفق . فهل هذا

معناه أنه فى المرة الأولى لم يوفق فى العثور على هذا النصف المكمل له ونجح فى العثور عليه فى المرة الثانية .. ؟

الإجابة نعم . ويكون هذا استنتاجاً بديهياً إذا آمنا بنظرية النصف المكمل وبقاعدة الحب الأساسية . وإذا آمنا أيضاً بأن الزواج ليس شركة تجارية وليس اضطراراً لمشاركة إنسان آخر الحياة ، وليس حتماً فرضياً . وربما هذا هو الخطأ الذى يقع فيه البعض فى البداية حين يتزوج لأول مرة . حين يتزوج لأنه يجب أن يتزوج . حين يتزوج لأنه وصل إلى السن القانونية للزواج .

.. حين يتزوج لأن هذا هو الوضع الاجتماعى الصحيح . حين يتزوج لأنه يجب أن ينجب أطفالاً . حين يتزوج لأنه يحتاج أن يمارس جنساً . حين يتزوج لتنظيم حياته الاقتصادية والمعيشية . حين يتزوج لأغراض فى نفس يعقوب . أغراض خالية من أية دوافع إنسانية .

كل هؤلاء تزوجوا فى غياب القاعدة الإنسانية للزواج . ارتباط الجوانب الإنسانية فى إنسان بالجوانب الإنسانية فى إنسان آخر . ولا خير فى زواج يقوم على أسس مختلفة غير الأسس الإنسانية .

.. الزواج تقابل إنسانى . ويفشل الزواج الأول إذا لم يتحرك الإنسان من قواعده الإنسانية لمقابلة القواعد الإنسانية لإنسان آخر . ولذلك حدد الله بحكمته الزواج بكلمتين اثنتين فقط :

المودة والرحمة . وهما الأساس لإنسانية أى إنسان . وهما قاعدة الحب الأساسية .

.. ولذلك فشل الزواج الأول لسوء الاختيار وسوء المنطلق . ومردوده إلى سوء النية . وربما بدون قصد ولكن انطلاقاً من أسلوب حياة ركائزه ومفاهيمه غير إنسانية ، والمتوقع أن يحدث اصطدام مروع . بعد شهر . بعد سنة . بعد عشرين سنة . المهم أن الاصطدام لابد أن يحدث . وتأخير حدوث الاصطدام تفسيره الوحيد أن هذا الزواج كان يلبى تلك الاحتياجات غير الإنسانية على مدى هذه السنين . وحين توقف عن الاستمرار فى تلبية هذه الاحتياجات حدث الاصطدام ثم الانفجار . إذا كان زواجاً لتلبية توقعات غير إنسانية . والمتوقع لمثل هذا الزواج أن يفضى إلى طلاق . ولا بديل عن الطلاق . ويكون للطلاق دوى مروع لأنه جاء بعد سنين طويلة .

.. وكما أوضحت سلفاً فإن القرآن الكريم أوضحها بجلاء فالطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات .

.. فالتقاء الطيب بالطيب هو التقاء قاعدة إنسانية بقاعدة إنسانية أخرى . التقاء حب بحب . فتحقق المفهوم الإلهى للزواج : المودة والرحمة .

.. والتقاء خبيث بخبيث هو التقاء قاعدة غير إنسانية بقاعدة غير إنسانية أخرى .

زواج له مقاصد ومآرب وأهداف غير إنسانية . أى بعيدة عن إرضاء النفس . هذا زواج قد يستمر - طالما أن هناك تلبية وتحقيقاً للتوقعات غير الإنسانية - ولكن حتماً سيصل إلى نقطة فشل نهائية . والزواج الثانى فى مثل هذه الحالة هو تكرار للزواج الأول .

.. الاحتمال الثالث هو التقاء خبيث بطيب . وهذا أمر جائز الحدوث وفقاً لنظرية الاحتمالات الحسابية . التقاء قاعدة غير إنسانية بقاعدة إنسانية . وهذا تقابل غير ممكن . والنهاية متوقعة منذ اللحظة الأولى . إن الطيب يرفض الخبيث فوراً مثلما يرفض جسم الإنسان الأجسام الغريبة عليه . إنها حالة من الرفض البيولوجى والنفسى والروحى . إنه علاقة كيمياء بكيمياء . وعلاقة مشاعر بمشاعر . وعلاقة أفكار بأفكار . وعلاقة روح بروح .. ولابد أن تصل إلى نقطة فراق لا رجعة فيها . وهنا قد يوفق الطيب فى المرة الثانية بإذن الله . فى العثور على النصف المكمل .

النصف الإنسانى الذى يقابله بقاعدة الحب . القاعدة الإنسانية .

□ □ □

.. والزواج الثانى قد يأتى بعد الطلاق مباشرة أى بعد انقضاء العدة بيوم واحد . واحتمالات الفشل فى هذا الزواج عالية . فالمطلق مازال مريضاً . مازال يعانى من آثار الطلاق سواء أكان الطلاق عن رغبته أو مُكره عليه . إنه يتزوج بسرعة ليسكن آلامه النفسية وليستعيد ثقته بنفسه ويمسح آثار الفشل .

.. والزواج بعد الطلاق غير الزواج بعد الترمل .

.. والزواج فى سن مبكرة غير الزواج فى السن المتقدمة .

.. والزواج مع وجود أطفال من الزواج الأول غير الزواج بدون أطفال .

.. والزواج الثانى بالنسبة للمرأة غير الزواج الثانى بالنسبة للرجل . فالمرأة بحكم تكوينها وتاريخها تعرف المعنى الحقيقى والدقيق للاستقرار . ومن أهم أهدافها فى الزواج الثانى الاستقرار الإنسانى مع إنسان . ولذلك فهى فى زواجها الثانى تكون أكثر إيجابية وأكثر قوة وأكثر عطاءً لكى

تحافظ على استمرارية الزواج . أى تبذل جهداً أكثر وتضحيات أكبر .

.. وبالنسبة للأرملة فإنه إذا كان زوجها الأول طيباً وعاشت معه حياة سعيدة ولها منه أبناء وبنات فإنها تشعر بأنها خيانة لزوجها الذى مات أن تتزوج بعده .

وفى هذه النقطة بالذات تختلف النساء . فهناك الأرملة التى تبلغ من العمر ثلاثين عاماً وتظل وفية لذكرى زوجها حتى نهاية عمرها ولا تتزوج وتتفرغ لتربية أطفالها الصغار حتى وإن كان طفلاً وحيداً .

وهناك الأرملة التى تبلغ من العمر خمسين عاماً وتتلهف على الزواج بعد شهور قليلة من وفاة زوجها حتى وإن كانت تستمتع بالاستقرار المادى الذى يعفيها من الحاجة إلى رجل ، وحتى وإن كان لها أبناء فى حاجة إليها أو أبناء يضيرهم أن تتزوج أمهم وهى فى هذه السن المتقدمة .

.. والأمر يتوقف على احتياجات المرأة . الاحتياج ليس مادياً فقط وليس عاطفياً فقط وليس جسدياً فقط . وليس كل هذه الأشياء مجتمعة أو بعضها . ولكنه احتياج لوجود إنسان .. رفيق .. إنسان يشاركها الحياة .. إنسان تنتمى إليه . وهو نوع من الانتماء يختلف عن أى انتماءات أخرى .

ولكل إنسان احتياجات ورغبات قد يصعب عليه مقاومتها أو تجاهلها .

.. ولو كان الزوج الأول سيئاً فالأرملة قد تتردد فى الزواج خوفاً من تكرار تجربة تجر عليها آلاماً جديدة كانت قد استراحت منها بموت زوجها .

□ □ □

والزواج الثانى محاط ببعض المخاطر :

١ - فالمطلق الذى عانى فى زواجه الأول يلخص كل معاناته ويختزلها ويكثفها ويرجعها إلى صفة واحدة سيئة كانت موجودة فى الزواج الأول . ولهذا فهو يدقق ألا تكون هذه الصفة أو السمة موجودة فى الزواج الثانى بل ويحرص أن تكون عكسها موجودة وبتأكيد واضح . وقد يتحقق له فعلاً . ولكنه قد يفاجأ فى أول الطريق بسمة أخرى .. حقيقة مختلفة ولكن تسبب له إزعاجاً وقلقاً شديدين وعدم راحة . وهنا يشعر بالندم ويكتشف أنه تسرع ويصيبه الانزعاج مما قد يؤثر على علاقته بزوجه . وقد يفقد توازنه ويقرر الخلاص من هذا الزواج قبل التمادى فيه . ولذا تلاحظ حالات طلاق سريعة جداً بعد شهر أو شهرين أو ربما أقل من سنة فى الزواج الثانى . ومعظمها بسبب حالة الرعب التى تنتاب

الزوج أو الزوجة حين يخيم عليهما شبح الفشل مرة ثانية فيقرران الفرار .

.. الإنسان لا يتزوج من سمة أو صفة ولكنه يتزوج من إنسان . الإنسان كله بسماته وصفاته مجتمعة . الإنسان بمساوئه ومحاسنه . ليس مهما وجود صفة سيئة المهم ألا تتعارض هذه الصفة مع القاعدة الإنسانية الأساسية ولا تعوق امتداد المودة والرحمة بينهما .

٢ - الأرملة قد تحمل لزوجها ذكريات طيبة على عكس المطلقة . ولذا فالأرملة وبدون أن تدرى قد تظل مرتبطة بالعادات القديمة وبأسلوب حياتها مع زوجها الراحل . وفى كل لحظة وبدون أن تدرى تقارن . ومخاوفها فى البداية تكون أكبر وندمها يكون أفدح . وقد يشعر الزوج الحالى بذلك . وقد تؤرقه صورة زوجها الأول . وقد تتعمد هى أن تتحدث عن زوجها الأول . وقد تفلت منها عبارات توحى بالمقارنة التى تكون فى صالح الزوج الأول . وبالطبع فإن أولادها سيؤيدون موقفها . سيتحيزون لأبيهم . سيدعمون لديها الإحساس والرأى بأن أباهم كان أفضل .

.. وكذلك المرأة التى تتزوج رجلاً أرمل ، تظل مشاكلها إلى وقت طويل كيف كانت زوجته التى رحلت . وبدون أن تدرس تحاول أن تقاوم أسلوب الحياة الذى فرضته قبل

رحيلها والذى اعتاده زوجها فتغير من أثاث المنزل . تغير من عادات الأكل والنوم والترفيه . أى شىء تعرف أنه كان مرتبطاً بها تحاول أن تغيره . وأى مقاومة من الزوج لهذا التغيير تثير غضبها وغيرتها .

.. والمطلق أيضاً قد يتحدث عن الزواج الأول . ولكنه حديث يثير الضيق حتى وإن كان فى صالح الزواج الثانى . إن الحديث عن إنسان حتى وإن كان حديثاً سلبياً فإنه يعنى الاهتمام بهذا الإنسان . يعنى أنه مازال يشغل حيزاً من الفكر ومن الوجدان .

.. إن الأمر يحتاج إلى مرونة ولباقة وصبر . الأمر يحتاج إلى تفهم . والتغيير لابد أن يكون تدريجياً . والتكيف على الحياة الجديدة لا يمكن أن يتم سريعاً . إن قدرة الإنسان على التكيف على شكل جديد للحياة تستغرق وقتاً وتحتاج صبراً .

والنصيحة الذهبية هى الابتعاد عن المقارنة سواء بشكل علنى أو حتى فى داخلنا . المقارنة تفسد الحياة الجديدة . حتى وإن كانت تلك المقارنات فى مصلحة الزواج الثانى .

٣ - ووجود أطفال فى البيت قد يحمل الزواج الثانى أعباءً كثيرة . فالزوجان يحتاجان لوقت أكثر ليقضياه معاً . يحتاجان لحياة مريحة أكثر ، ودرجة أكبر من الاقتراب لتهدئة الخاطر وإزالة القلق وتحقيق التوقعات ودعم

الرابطة . ووجود أطفال يسرق منهما بعض هذا الوقت .

.. وقد يصبح الأطفال طرفاً أو سبباً فى النزاعات التى تنشأ بين الزوجين ، وبذلك تأخذ المشاكل أبعاداً ثلاثية بدلاً من أن تكون ثنائية مما يزيد المشاكل تعقيداً ويجعل حلها أصعب وآثارها أبقى .

.. والأطفال سواء أبناء الزوج أو أبناء الزوجة يكونون أقل سعادة فى البيت الجديد . ومن الصعب أن يقبل أبناء الزوج أن تحل سيدة جديدة مكان أمهم .. وأكثر صعوبة أن يقبل أبناء الزوجة أن يحل رجل آخر مكان أبيهم .

.. إذن هناك حالة رفض قد يعلنها الأبناء صراحة أو قد يخفونها ولكن تظهر بصور أخرى تهدف إلى خلق المشاكل فى البيت وتشويه صورة الزوجة الجديدة لدى أبيهم أو تشويه صورة الزوج الجديد لدى أمهم .

.. وتظل الصراعات مستمرة ظاهرة أو خفية وذات تأثير سلبى على جميع الأطراف ، إلا إذا بذل الزوجان جهداً واعياً فى احتواء مشاعر الأبناء المضطربة وتفهمها وعدم إثارتها ليتكيفوا ويقبلوا الوضع الجديد .

.. وفى بعض الأحيان تنجح جهود الزوجين إلى درجة أن الأطفال يرتبطون عاطفياً بالرجل الجديد الذى اقتحم حياتهم أو المرأة الجديدة التى حلت محل أمهم .

.. وتبذل الزوجة جهداً زائداً فى العناية بأطفال زوجها وذلك للحساسية التقليدية والمفهوم الشائع عن زوجة الأب . كما يضطر الزوج إلى بذل نفس الجهد للاستحواذ على قبول وعواطف أبناء زوجته . وحزمه مع أطفالها قد يقابل بالرفض والشك ، وكذلك حزمها مع أطفاله قد يقابل بنفس الرفض والشك . ولهذا فإن أحد الأسس المهمة التى يجب أن تبنى عليها العلاقات الجديدة هو الثقة . الثقة فى حسن النوايا وصدق المشاعر ونبل الهدف وذلك يتطلب حباً ونضجاً .

.. والأفضل أن يحاول كل طرف من الأطراف الثلاثة أن يكون طبيعياً وتلقائياً وأن يفصح عن مشاعره وأفكاره بوضوح وبساطة .. أى أن يكون نفسه .. وألا يتعمد أن يظهر حباً زائداً أو اهتماماً مبالغاً فيه حتى لا تزداد حيرة وصراع وشك الأطراف الأخرى .

.. وتزداد المشاكل إذا كان هؤلاء الأطفال قد وصلوا إلى سن المراهقة أو تخطوها إلى أعتاب الشباب حيث تزداد احتياجاتهم وتزداد مشاكلهم ويزداد تدخلهم فى حياة الزوجين ويزداد تأثيرهم . يستمع الزوج لأبنائه باهتمام أكثر ويقيم وزناً أكبر لآرائهم ويبذل جهداً أكثر لإرضائهم . وكذلك الزوجة تعتمد على أبنائها لتدعيم موقفها وتقوية ذاتها وقد

تتوحد معهم فى صراعها ضد زوجها إذا نشأ بينهما خلاف وتشعر بأن أولادها هم السند والحماية .

.. إن ذلك خطأ قاتل يقع فيه الزوج وتقع فيه الزوجة . لأن الأبناء قد يتعمدون أن تصل الأمور إلى هذا المأزق الحرج وتكون تلك هى مبارياتهم المفضلة فى أن يعطوا الأب أو يعطوا الأم إحساساً زائفاً بالتوحد والتكتل ضد الطرف الآخر ، وبذلك ينجحون فى خلق صراعات حادة بين الزوجين والتى تهدد الزواج الثانى تهديداً فعلياً بالفشل .

.. ولكن علينا أن نراعى أن الأطفال يتعرضون لمعاناة حقيقية إذا أقدمت أمهم على الزواج بغير أبيهم أو أقدم الأب على الزواج بغير أمهم . يضطرب نوم الأطفال . يفقدون الشهية للطعام . يضطربون فى الدراسة . يصعب التركيز . تزداد العدوانية . يحدث التبول الليلى اللا إرادى . إلى آخر قائمة طويلة من المشاكل النفسية والعضوية يجب أن نتقبل أنها صدمة نفسية ليست هينة أن يعيشوا مع إنسان غير أبيهم أو غير أمهم .. إنهم معذورون . وهذا يبين أنهم كانوا يفضلون الحياة مع أبيهم وأمهم معاً حتى وإن كانت حياة مشاكل وصراعات ومشاحنات . هذا أفضل عندهم من حياة هادئة مع رجل غير أبيهم أو امرأة غير أمهم . ولكن الأب والأم معذوران أيضاً . وعلينا أن نوفق بين أعذار الجميع .

وهكذا الحياة . محاولات متصلة للتوفيق بين احتياجات ورغبات متعارضة .

.. وتزداد المشاكل بالقطع إذا عاش أطفالها وأطفاله معاً فى بيت واحد . يظهر شىء جديد وهو المنافسة القاسية ومحاولة كل طرف أن يدعم أبناءه ويتيح لهم الفرصة للتفوق والبروز وأن يكونوا الأفضل فى كل مجال .

.. وقد يثمر الزواج الجديد عن أطفال جدد إذا كانت المرأة فى سن تسمح لها بالإنجاب . والأطفال الجدد يكونون وحدة جديدة مختلفة عن الاطفال الآخرين . أطفاله وأطفالها . وعادة مجىء أطفال جدد يدعم العلاقة فى الزواج الثانى ويقلل من التوترات والصراعات ويقلل اهتمامهما الزائد المبالغ فيه وتحيزهما لأطفالهما السابقين .

.. الطفل الجديد يجمع طرفى الزواج الثانى على هدف جديد ويفتح لهما آفاقاً لمشاعر جديدة تثرى حياتهما . إن من أقوى دعائم الربط بين اثنين هو الطفل لأنه يمثل نسيجاً مشتركاً تخلق من كل طرف . قطعة من كل طرف .

□ □ □

إن الزواج الثانى أمر ليس هيناً ..

العشر الطيبات .. والعشر السيئات

زوج ناجح

١ - أن ينجح فى أن يبث مشاعر الأمان الحقيقية لدى زوجته . الزوجة الآمنة لابد وأن تكون زوجة صالحة إذا كان لديها الاستعداد للصلاح . إن أهم ما تحتاج إليه المرأة هو مشاعر الأمان والطمأنينة . وإذا فقدتها اضطربت . والرجل الحقيقى هو القادر على منحها هذه المشاعر . والمصدر الأول لأمان المرأة هو حب الرجل لها . الحب الحقيقى . فإذا شعرت بحب زوجها اطمأنت . والزوج الناجح هو الذى تكون زوجته هى حبيبته ، وحبيبته هى زوجته . وأن يرى الزواج كعلاقة مقدسة . علاقة أبدية خالدة . تطمئن المرأة فى حياتها مع رجل يقدس الزواج .

٢ - أن يكون مصدر قوته الحقيقية هو صدقه .

.. الرجل الصادق هو رجل قوى . صادق مع نفسه . صادق مع الناس . صادق مع زوجته . والصدق هو قيمة

أخلاقية عليا . وهى تعنى السمو . فالصادق هو إنسان سامٍ ورفيع . ولابد أن يكون شجاعاً . وهذا يعنى أيضاً ثقته بنفسه . وتلك مظاهر الجمال الحقيقية التى تشد المرأة إلى الرجل . وتلك هى مواطن الجمال الحقيقية عند الرجل . والمرأة تُسلم لرجل شجاع .

٣ - أن يكون قادراً على تحمل المسئولية . مسئوليته الحياة . مسؤليته عن نفسه . وعن زوجه وأسرته ومسئوليته كإنسان . والمسئولية تنبثق من الإرادة الواعية . الإرادة الحرة . وهى تعنى وعيه بدوره وقيمته وأهميته . تعنى إحساسه بذاته ونضجه . والرجل الحقيقى هو الذى لا يُساق إلى تحمل مسئولياته ولا يتهرب منها وإنما يسعى إليها بصدق وهمة وإيمان وفهم وحب ويسعد بما يقدمه للآخرين من عطاء سواء أكان عطاء المسئولية أو عطاءً حراً نابعاً من حسه الإنسانى النبيل .

٤ - والزوج الناجح هو رجل ناجح . ناجح فى عمله . يعتز بعمله ويتقنه ويقبل عليه بحب ويحاول أن يبدع فيه . ويطور نفسه . يؤكد ذاته . يحقق طموحاته . لا شىء يأخذه بعيداً عن عمله . لا شىء يستغرقه ولا شىء يُغرقه . أحد جوانب إحساسه بذاته هو نجاحه فى عمله وكذلك أحد جوانب فخره وثقته بنفسه واعتزازه بذاته . وهذا يعنى جديته وشعوره العميق بالمسئولية . وثمة علاقة قوية تربط بين

عمل الرجل وحبه وحياته الزوجية . إن نجاحه فى عمله يثرى حياته الزوجية ، وتوفيقه فى حياته الزوجية يثرى عمله . إنها علاقة تبادلية مباشرة تحفظ للرجل توازنه النفسى وتحفظ للزوجة توازنها النفسى وتحفظ للحياة الزوجية استقرارها وتكون إحدى دعائم نجاحها .

.. وأن يكون أيضاً ناجحاً اجتماعياً . أن يكون قادراً على التأثير الاجتماعى . أن يكون له نفوذ إنسانى . وهذا يعنى ثراء شخصيته . يعنى اهتماماته بالحياة وبالإنسان وبالمجتمع . اهتماماته التى تمتد خارج نطاق عمله وأسرته . وبذلك يكون هو الوسيلة للعلاقة التبادلية بين الأسرة والمجتمع . كل منهما يثرى الآخر .

٥ - أن يكون بناؤه الأخلاقى الإنسانى سليما يعكسه ضمير نظيف ، وينبع من نفس طيبة خيرة هى المصدر للقيم الأخلاقية الإنسانية العظيمة . فهو شريف . أمين . عطوف . متسامح . نبيل . متواضع . وينعكس هذا على حياته العامة وحياته الخاصة . فالإنسان لا يتجزأ . والأخلاق لا تتجزأ . فمن كان غير أمين فى حياته العامة فهو غير أمين بشكل أو بآخر فى حياته الخاصة . وهو بهذه النفس الطيبة الخيرة يبعث أقصى درجات الطمأنينة فى نفس زوجته .

٦ - أن يتمتع بالثبات الانفعالى . فلا يندفع غاضباً ثائراً لأبسط الأمور ويفقد السيطرة على أعصابه وسلوكه وينهار ويصدر عنه كلام غير منطقي وألفاظ سيئة . أن يكون صبوراً حكيماً منطقياً مقدراً عاذراً . وأن يتجاوب انفعالياً حسب مقتضيات الموقف وأن يكون حجم انفعاله مناسباً للموقف وأن يكون انفعالاً بناءً لمعالجة الموقف . وأن يكون قادراً على السيطرة على هذه الانفعالات إذا اقتضى الموقف . وأن يكون راقياً أيضاً فى غضبه فلا يلجأ إلى العنف البدنى أو اللفظى ، أو السخرية والتهكم والتحقير والكلمات البذيئة . إن الزوجة تفقد إدراكها الدقيق لحدوده كرجل إذا رأته فى هذه الصورة المتهاوية المنهارة ، وخاصة إذا كانت تقف هى قبالته أى أن الموقف يتناولها هى شخصياً .

٧ - الرجولة الحقة هى التى تجعل المرأة تشعر بأنوثتها الحقة . والأنوثة الحقة لا تظهر فى ظل رجولة مهزوزة أو منقوصة . والمرأة لا تشعر بذاتها الحقيقية ، ذاتها الأنثوية إلا مع رجل حقيقى . أى قوته وشجاعته وقدرته على الاحتواء وغيرته الموضوعية النابعة من حبه ومن دوره فى المحافظة على زوجته لا من مشاعر الضعف والهوان وحب الامتلاك والتعلق المرضى والتى تتبدى فى صورة « غيرة » زائدة هى أقرب إلى الشك ولا تعنى إلا انهياراً رجولياً داخلياً وعدم ثقة بالنفس .

٨ - أن يحافظ على التوازن بين الرومانسية والواقعية ، وبين الخيال والحقيقة . الرومانسية تحفظ له شاعريته ورقته التى تحتاجها المرأة وشغفه العاطفى الذى ترتوى منه المرأة . وفى نفس الوقت واقعيته تتيح له الإدراك السليم للواقع والحكم الموضوعى على الأمور والقيادة الواعية المستبصرة بمقتضيات الحياة . المرأة تفقد حماسها واستثارتها إزاء عاشق ولهان تستغرقه الرومانسية ويذهب به الخيال بعيداً عن أرض الواقع والحقيقة . وفى نفس الوقت يفزعها الرجل الجاف الجامد الذى لا يهتز قلبه للحن جميل ولا تنتشى روحه لزهرة بديعة ولا يثير خياله ليل أو فجر ولا تتعلق روحه بمعنى شعرى جميل . المرأة تطمئن للرجل المتوازن ، وتفتتن بالرجل المتكامل ، وتتعلق بالرجل الحى المتحرك النشط القوى الشجاع الحالم الرقيق . مزيج الرجولة الحقة .

٩ - أن يكون حازماً .. قائداً .. راعياً .. عادلاً . المرأة السوية تسلم القياد لزوجها . والقائد الناجح لابد أن يكون حازماً . حازماً بلا قسوة وبلا عنف . الضعيف .. المتهاون هو الذى تنتابه حالات العنف والثورة وهو الذى يقسو قسوة زائدة . وحزم الرجل مصدره عقله ومن خلال أساليب عقلية . وهى المنطق والثبات . الحجة والإقناع .

.. والحزم لا يعنى أن يكون مرهوباً بل يكون عطوفاً . فى العطف حزم . وفى المنطق حزم . وفى عدم التنازل والتهاون فى الأمور المهمة حزم . وفى التجاوز عن الصغائر حزم . وفى التسامح عن أخطاء غير مقصودة حزم .

.. وحقه فى الحزم يأتى من دوره كراع . راع لامرأته وراع لأسرته .

.. والراعى لكى يستمر دوره لابد أن يكون عادلاً . والعدل قيمة تعنى السمو والحكمة .

.. العادل هو إنسان سامٍ وحكيم .

.. لأن دور الرجل أن يكون قائداً فلابد أن يكون حازماً . وليس من حقه أن يكون حازماً إلا إذا كان راعياً . ولا حق فى رعاية إلا بالعدل .. هذه صفات أربع متلازمة للرجل الزوج الذى يحظى بحب واحترام زوجته واطمئنانها للحياة معه : القيادة والحزم والرعاية والعدل .

١٠ - أن يكون تقياً مؤمناً . لاخير فى رجل لا يعرف ربه . ولا اطمئنان مع زوج لا يراعى حدود خالقه .

□ □ □

زوج فاشـــــل

١ - هو رجل لا يقدس الزواج .

٢ - هو رجل فاشل بوجه عام فى أمور كثيرة من حياته . عمله . علاقاته الاجتماعية .

٣ - هو رجل انهزامى انسحابى ينزلق بسرعة فى مهاوى اليأس . يفتقد لروح المرح . ضعيف الهمة قليل الحركة .

٤ - سريع الانفعال والغضب فاقد السيطرة ، ينهار إزاء المواقف الصعبة .

٥ - كاذب . وكذبه لضعفه وعدم ثقته بنفسه .

٦ - يفتقد لروح القيادة . متهاون غير حازم . ويقبل سيطرة الغير عليه .

٧ - يفتقد لمشاعر الخير والحس الإنسانى متعال . مغرور . نرجسى . عدوانى . قاس .

٨ - ينزلق أخلاقياً بسهولة . غير أمين .

٩ - لا يحرك مشاعر الأنوثة عند امرأته . تفتقد معه الإحساس بذاتها الحقة . وتفتقد معه مشاعر الأمان .

١٠ - يسيطر عليه الشك . غيرته مرضية نابعة من حبه للامتلاك وضعفه الداخلى .

□ □ □

زوجـة ناجحـة

١ - قبل الزواج ، وقبل الحب هى أولاً امرأة سوية ناضجة ينسجم تكوينها الفسيولوجى التشريحى مع تكوينها النفسى فى نسق أنثوى بديع تقبله وتعتز به ولا ترضى أن تستبدله أو تقترب به من النسق الذكرى .

.. ومن فطرتها الأنثوية الصافية الخالصة لا تتزوج إلا من رجل تحبه يحرك ويطلق نوازعها الأنثوية إلى أقصى درجاتها وتتأكد هذه النوازع معه وبرجولته . هى امرأة ترفض أن تتزوج من رجل لا تحبه أو رجل منقوص الرجولة .

.. وهى امرأة مثلما تعتز بأنوثتها فهى تعى أيضاً دورها الأنثوى فى الحياة ومع رجل وكأم .

٢ - هى زوجة قادرة على احتواء الزوج بالحنان والاهتمام . فهى بحسها الأنثوى تدرك احتياجات الرجل . فهى تعرف بحسها وفطرتها وبساطتها أن بالرجل جزءا كالطفل يحتاج إلى أم . وبه جزء ناضج واع منطقى يحتاج إلى امرأة ناضجة عاشقة وبه جزء أبوى يحتاج فيه أن يؤدى دور الراعى والمسئول والقائد . ولهذا فهى تعطيه حنان الأم وحب المرأة العاشقة وخضوع الابنة المتفهمة .

.. هى تعرف أن الرجل يتوقع الاهتمام من الزوجة . يتوقع التقدير . ولذا فهى تعيش أحلامه وانتصاراته وأمجاده حتى وإن كانت هى الشاهدة الوحيدة عليها . تعيش حياته واهتماماته وعمله لحظة بلحظة . لا تفارقه لحظة .

٣ - الحب هو حياتها . وزوجها هو محور حياتها . وأسرتها هى مملكتها .

٤ - هى زوجة ثرية العقل غنية الروح . تعيش الحياة بفهم يدفعها إلى الانفتاح على الكون . فتفهم من أمور الحياة وأحوال الدنيا ما يجعلها مثقفة متفتحة فاهمة متعقلة عذبة الحديث مقنعة المنطق مؤثرة بأفكارها وروحها .

.. ولذا فمن حبها لزوجها وإحساسها بحب زوجها لها تدرك أن نفوذها وتأثيرها لا يكمن فى جمالها الخارجى وزينة جسدها الشكلية وإنما يكمن فى جمال عقلها ورونق روحها .

٥ - هى الزوجة التى تملك روحاً سمحة ونفساً طيبة وطباعاً هادئة . غير متسلطة . غير عدوانية . لا تستهويها ولا تزدهيها سلطة أو قيادة أو زعامة . ولأنها ارتبطت برجل تحبه وتثق به وتطمئن إليه فإنها تسلم له قيادة مركب الحياة . تساعده بعقلها وبجهودها . تقف بجانبه وليس وراءه . ولا ترضى أن تقف أمامه .

٦ - أن تكون « غيرتها » نابعة من حبها للحفاظ على حبها وزوجها الذى تثق به . فهو جدير بالثقة ولأنها تثق بنفسها أيضاً وفوق كل ذلك وقبل كل ذلك ثقتها بالحب الذى يربطها بزوجها . غيرة عاقلة هادفة هادئة تسعد الرجل وفى نفس الوقت تحذره وتوقظه وتنبهه .

٧ - إخلاصها ووفاؤها ليسا محلاً لنقاش أو تأكيد وإلا أصبحت الأمور كلها عبثية . ولكنها تحرص كل الحرص على مشاعر زوجها من خلال سلوكها الاجتماعى المتوازن الراقى الذى يعكس حكمتها وتوازنها النفسى وثقتها بنفسها وعدم احتياجها لكلمات الإطراء وعبارات المديح وتلميحات الغزل . فهى ترفض ذلك بإباء نابع من حسها الأخلاقى القوى ومن احترامها لذاتها واحترامها لكيانها كزوجة . ولأنها واعية وناضجة وذكية فإنها لا تستخدم سلاح الشك والغيرة لإذكاء مشاعر زوجها نحوها لأنها تعرف أن هذا سلاح مدمر يقضى على الأحاسيس الطيبة لدى زوجها . يقضى على إحساسه بالأمان .

أن تكون مبادئها إيجابية . مشاركة . متعاونة . فعالة . وذلك فى إدارة شئون حياة الأسرة . وأن تعرف جيداً أنها مصدر الحياة . ومصدر الاستمرار . ومصدر الاستقرار . وأنها هى القائد من الداخل . من الباطن . وأن مصدر قوتها

هو الحب والاحتواء والفهم والوعى والذكاء . الذكاء الأنثوى الفطرى الذى يدرك بالحس الداخلى وباللاشعور أنه لولا المرأة لما كانت الحياة . المرأة الزوجة . المرأة الفاضلة .

٩ - أن تستند حياتها كلها إلى قاعدة أخلاقية تتمثل كل القيم العليا الرفيعة من صدق وأمانة وتواضع وتسامح ينعكس فى سلوكها العام وحياتها الزوجية .

١٠ - أن تكون تقية مؤمنة . لا خير فى امرأة لا تعرف ربها . ولا اطمئنان مع زوجة لا ترعى حدود خالقها .

زوجـة فاشـلـة

١ - أن تكون عاجزة عن الحب .

٢ - أن تدخل فى منافسة مع الرجل .

٣ - أن تكون عدائية متسلطة .

٤ - أن تكون تافهة العقل .

٥ - أن تفتقد لمشاعر الانتماء للبيت ويصبح زوجها على هامش حياتها .

٦ - أن تتمتع بالاستهتار والسطحية والمبالغة والاهتمام بالمظهر الذى يكشف عن جوهر ضحل .

٧ - أن تكون قاعدتها الأخلاقية مثقوبة . فتهدر القيم

وخاصة المتعلقة بالولاء والالتزام والإخلاص فى الحياة الزوجية .

٨ - أن تكون غير متوازنة نفسياً فتتذبذب انفعالاتها وتتأرجح ثقتها بنفسها فتندفع نحو حماقات ومهاترات لتأكيد الذات والدفاع عن النفس ضد اعتداءات وهمية وبذا تتسم حياتها بالعنف والعداوة والشك وسوء الظن .

٩ - أن تفتقد لمشاعر القدسية . قدسية الإنسان . قدسية العلاقة الإنسانية . الصداقة . الحب . الزواج . الأمومة . وهذا يجعلها تتناول الأمور الجادة والقدسية تناولاً سهلاً رخيصاً يفتقد للبراءة والطهارة .

١٠ - أن تتمتع بالغرور والأنانية والنرجسية . فلا تعطى . ولا تذوب . إنما تصبح طرفاً شاذاً وناشزاً فى علاقة أساسها العطاء والذوبان وهى العلاقة الزوجية .

الخـتـــــام

.. الطلاق ليس حلاً . وليس هو الكلمة الأخيرة . والطلاق ليس سهلاً . بل هو كابوس آثاره قد تستمر سنين . والحياة بعد الطلاق فى الغالب تكون أسوأ . وحياة الوحدة قاسية . والزواج الثانى قد يكون أكثر فشلاً أو قد تكتنفه صعوبات تسلب منه المتعة والطمأنينة .

.. وزواج انتهى إلى طلاق لم يكن زواجاً أو أن طرفيه لا يصلحان للزواج .

.. وفشل الزواج مسئولية مشتركة يتحملها الطرفان إلا فى أحوال قليلة حيث يكون طرف معتد وباغ وأثيم وشاذ وغريب أو مريض وطرف آخر هو الضحية .

.. ولكن يجب على الأصحاء الأقوياء النبلاء ذوى المعدن الأصيل أن يحاولوا . فالله عز وجل منح الإنسان قدرات هائلة على التكيف . فالأصل فى الزواج أن يكون خالداً . والطلاق ينبغى ألا يكون على الإطلاق . إلا فى أحوال قليلة جداً أكاد أقصرها على الكراهية والخيانة . حتى الكراهية من الممكن أن تكون مؤقتة ولأحوال نفسية عابرة . ومع

المحاولة والوقت وبالصدر الرحب والنفس السمحة من الممكن أن تتبدل الكراهية وتحل محلها المودة . وأيضاً الخيانة من الممكن أن تكون لأسباب نفسية مرضية خارجة على الإرادة . والله غفور رحيم ، وباب التوبة مفتوح للجميع ولكل الخطايا .

.. وأكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن الطرفين استخارا الله وصبرا وتشبثا بما لهما من ذكريات مشتركة طيبة وأيام عاشاها معاً فى فراش واحد ، ولو أنهما أيضاً فكرا فى العواقب النفسية السيئة التى تعقب الطلاق . لو أنهما فقط تذكرا أن الطلاق هو أبغض الحلال عند الله ويهتز له العرش الإلهى .

.. إن بغض الله لشىء كان يجب أن يهز الإنسان من الداخل ويجعله يتريث ويتراجع ويفكر ويتدبر ويحاول ..

.. أكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن أحد الطرفين كان شجاعاً . واثقاً بنفسه . نبيلاً . مقدراً . عاذراً . صبوراً . بعيد النظر .

.. أكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن هناك أناسا طيبين عقلاء متفهمين ذوى تأثير وقدرة على الإقناع تدخلوا بالخير وبالنيات الطيبة .

.. وإذا كانت المسئولية مشتركة إلا أنه يجب أن نرتفع ولو بقدر يسير بمسئولية الرجل . ليست مسئوليته فى فشل الزواج ولكن مسئوليته فى الموافقه على الطلاق أو الإسراع به أو المبادأة به أو إتمامه .. فالمرأة بحكم تكوينها الانفعالى وسرعة تأثرها وبحكم أن احتياجاتها العاطفية هى الأساس فى حياتها والتى تمنحها كل أحاسيس الأمان فإنها غالباً ما تتسرع فى طلب الطلاق إذا تعرضت لأزمة عاطفية حادة . وقد تلح فى طلب الطلاق حتى يخال من يسمعها أنها قد عقدت العزم وأن تصميمها نابع من قناعة راسخة . ولكن الحقيقة غير ذلك . الحقيقة أنها انفعالات طارئة أو حتى مزمنة لكى تحث الرجل الزوج لا على الطلاق وإنما لكى يتغير . لكى ينتبه إلى احتياجاتها العاطفية . لكى تستعيد معه مشاعر الأمان .

.. والرجل الأحمق أو غير العارف بطبيعة المرأة قد يستجيب لانفعالاتها الحادة بالغضب والتعنت وتصعيد الصراع وبذلك تتعقد الأزمة وتستمر وبنفس الحماقة تنتهى حياته بالطلاق .

.. وعلى الرجل أن يتعرف على الأوقات الحرجة فى حياة المرأة والتى تتصاعد فيها انفعالاتها إلى الحد الذى يهدد الحياة الزوجية وخاصة فى الأيام القليلة التى تسبق الدورة

الشهرية حيث أكدت الإحصائيات العلمية ارتفاع نسبة الطلاق فى هذه الأيام . وكذلك حين تقترب المرأة من سن اليأس إذ لاحظ العلماء وكان ذلك أمراً محيراً أن نسبة عالية من الطلاق تحدث بعد سنوات طويلة من الزواج عشرين أو ثلاثين سنة بدون أسباب واضحة وتكون المرأة هى الباعث والمصر على الطلاق . أكد العلماء أن هذا يحدث أثناء التغيرات النفسية والبيولوجية الحادة التى تعترى المرأة فى مرحلة سن اليأس . إنها حالة من الاكتئاب . الانتحار المقنع . التدمير الذاتى . التدمير للحياة .

.. هنا يأتى دور الرجل الزوج والحبيب الواعى الفاهم القائد والراعى والمسئول .

□ □ □

.. الزواج هو رغبة اثنين فى أن يكونا معاً .

.. وهو يلبى أعمق الاحتياجات النفسية للإنسان .

.. وهو الوحيد الذى يلبى هذه الاحتياجات .

.. وأعمق الاحتياجات النفسية للمرأة هو الشعور بالأمان . ويجسده لها حنان الرجل النابع من حبه .

.. وأعمق الاحتياجات النفسية للرجل هو الشعور بالاهتمام . ويجسده له حنان المرأة النابع من حبها .

.. إنها أشياء بسيطة ولكنها مهمة وعظيمة . وإذا استطاع كل طرف أن يلبى احتياجات الطرف الآخر لنجح الزواج .

.. لا ينجح زواج إلا بالحـــب .

د . عادل صادق

محتويات الكتاب

الموضوع | **الصفحة**



صدر من سلسلة « كتاب الحرية »

١ - هذا هو الإسلام

لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

٢ - ٧٢ شهراً مع عبد الناصر

للأستاذ فتحى رضوان

٣ - الطب والجنس

للأستاذ الدكتور مدحت عزيز شوقى

٤ - الدولة والحكم فى الاسلام

للأستاذ الدكتور حسين فوزى النجار

٥ - أسرار السياسة المصرية فى ربع قرن

للأستاذ عبد المغنى سعيد

٦ - مصر .. وقضايا الاغتيالات السياسية

للأستاذ الدكتور محمود متولى

٧ - الطب النفسى

للأستاذ الدكتور عادل صادق

٨ - أزمة الشباب وهموم مصرية

للأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

٩ - المسيحية والاسلام على أرض مصر

للأستاذ الدكتور وليم سليمان قلادة

١٠ - الارهاب .. والعنف السياسى

للواء دكتور أحمد جلال عز الدين

١١ - كنت نائبا لرئيس المخابرات

للأستاذ عبد الفتاح أبو الفضل

١٢ - مصر .. من يريدها بسوء ؟

للأستاذ محمد جبريل


الشرق
للتأمين
١٩٣١
الشرق للتأمين
خبراؤنا المتخصصون فى
كل أنواع التأمين
يستطيعون تصميم برامج
تأمينية تُعد خصيصا لتناسبك


الشركة الشرقية "إيسترن كومباني"
كبرى شركات الدخان
والسجاير بالشرق الأوسط
تقدم أفخر إنتاجها المتطور
من أجود الأدخنة الأمريكية
والفرجينية وبأعلى مستويات
الجودة
• منتجات الشركة تنال التقدير بالأسواق
العربية والأفريقية والدول الشرقية
من
٤٥٠ شارع الأهرام/الجيزة
P. O. BOX : 1543, CAIRO Giza ,
EGYPT TELEX : 92596 COMTRUN CABLE COMTERN GIZA



وثيقة التأمين
تمنحك الأمن والأمان
وتوفرها شركات التأمين المصرية
شركة مصر للتأمين
شركة الشرق للتأمين
شركة التأمين الأهلية
شركة قناة السويس للتأمين
شركة المهندس للتأمين
شركة الدلتا للتأمين
الشركة الفرعونية للتأمين
وكذا الشركات التى تعمل بالمناطق الحرة
الشركة العربية الدولية للتأمين
الشركة المصرية الأمريكية للتأمين
EGYPTIAN INSURANCE SUPERVISORY AUTHORITY
الهيئة المصرية للرقابة على التأمين
تحافظ على حقوق حملة الوثائق

رقم الإيداع :	٤٢٨٠ / ١٩٩٤
الترقيم الدولى :	٨ - ٥٩ - ٥٠٦٢ - ٩٧٧

